340

HARLEQUIN

روايات أحلام

الوردة الحمراء

ريبيكا ونترز

www.elromancia.com
مـــن مـــكـــتـــبـــة

الوردة الحمراء

اعتاد المليونير المشهور باين سترلينغ أن يكون محط الأنظار ، ولكن غضبه تجاوز الحدود حين رأى صورته مرسومة على سلسلة من الروايات العاطفية الجديدة...

لم يسبق لباين أن جلس أمام رسام ، لذا صمم على اقتفاء أثر الفنان الذي أحرجه ليعاقبه ...وكانت رايني بينيت فنانة جذابة وموهوبة رأت في باين من خلال صورته ، بطلاً مثالياً للوحاتها ، دون أن تعلم أنه رجل أعمال مشهور ! كان باين أكثر وسامة وجهاً لوجه لكن من سوء حظها أنها لم تلتقه إلا في المحكمة ! عرض عليها باين طريقة للتعويض عليه ، فهل تستطيع أن تقبل!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-222-5

ريبيكا وينترز

أم لأربعة أولاد، ومعلمة سابقة.

تركت مهنة التدريس حيث كانت تدرس اللغتين الفرنسية والإسبانية. أصبحت اليوم قادرة على تمضية المزيد من الوقت مع أسرتها، والقيام بالأسفار وكتابة الروايات لـ «ميلز أند بونز». تلك الروايات التي تحبها كثيراً.

يمكنكم زيارة موقعها على الإنترنت:

http: www. rebecca winters-author.com

www.elromancia.com

١ ـ كيف تعلم؟

ـ خالي باين؟

رفع باين سترلينغ البالغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً نظره عن شاشة الكمبيوتر ليرى ابنة أخته المفضلة كاثرين تدخل مسرعة إلى المكتبة وقدماها تكادان لا تطآن الأرض.

لحقتها خطيبته بوتيرة أبطأ في كرسيها المتحرّك، وقد بدت المرأتان مرتاعتين من شيء ما.

ـ يجب أن ترى ذلك.

بدت كاثرين على عجلة من أمرها عندما ألقت قصاصة ورق في أحضانه.

ـ مهلاً، حلوتي!

التقطها مدهوشاً قبل أن يعيرها اهتماماً كاملاً واكتشف بذهول أنها عبارة عن رواية رومنسية للكاتبة بوني ريغلي تحمل اسم: «عملية دمج».

وظهرت تحت العنوان صورة لرجل يحتضن امرأة بين ذراعيه. كانا يقفان في مكتب في إحدى ناطحات السحاب في نيويورك وتبدو مدينة مانهاتن في الخلفية. وأدرك بعد إلقائه نظرة ثانية أنه لم يكن أي مكتب... ولا أي رجل...

ومع أن الصورة لم تكن صورة حقيقية بل رسماً، إلاّ أنه شعر وكأنه ينظر إلى نفسه في المرآة. تأمّلها ملياً لبعض الوقت وإمارات عدم التصديق والذهول تعلو وجهه. ارتجف صوت كاثرين وهو تقول:

- عدني بألا تخبر أمي أنني أطالع تلك الروايات، خالي. لاحظت في السنة الماضية أنّ العديد من الرجال الذين يُرسمون على غلافات الروايات يشبهونك، إلاّ انّ هذا الرجل يبدو وكأنه أنت حتى أن شعره كشعرك.

صرخت ديان بقلق: «إنها محقة. فبنية الرجل كبنيتك وشعره كشعرك البني القاتم وهو بنفس طولك. كل ما فيه يشبهك حتى زرقة عينيه. لهذا قلت لكاثرين إن عليها أن تطلعك على هذه الرواية».

كان كلاهما شاحب اللون. وأردفت الفتاة الشابة: «كما أنه يرتدي بزة وقميصاً يشبهان ما ترتديه للعمل يا خالي باين! كما أن المنظر يشبه تماماً ما يراه المرء حين يدخل إلى مكتبك. أعتقد أن الشخص الذي نفّذ الغلاف يعرف الكثير من الأمور الشخصية عنك».

وأشارت الفتاة إلى بعض التفاصيل: «أنظر! هل ترى تلك الصورة التي تمثل باخرة قبالة المنارة؟ لديك صورة مشابهة معلقة على حائط مكتبك! وماذا عن تلك الصورة التي تمثل كلباً جاثماً على المكتب؟».

لقد لاحظ باين تلك التفاصيل على الفور لكنه لم يشأ أن يتكلّم خوفاً من إرعابهما أكثر.

وانطلقت صفارات الإنذار في رأسه لأنه أوكل إلى مهندس مهمة تحويل كوخ المنارة القديمة إلى منزل حيث يعيش في السنوات الماضية. حدّق إلى ابنة أخته البالغة من العمر خمسة عشر عاماً بشعرها الذهبي المشابه لشعر شقيقته.

- هل قرأتها؟

- لا. فما إن أريتها لديان، حتى قررنا إطلاعك عليها فوراً.

- لقد قمت بالعمل الصواب.

لقد سمع مراراً أن ثمة شبيه لكل إنسان وربما أكثر. لعلها مصادفة لكن لا يسعه المجازفة، ليس بعد ما حصل في عيد الميلاد.

- من أين تبتاعين هذه الكتب كاثرين؟

- إحدى الخادمات تقرأها أولاً ثم تعطيني إياها، وعندما أنتهي منها

أعيدها إليها.

- أي خادمة؟

- نايلا.

وأعلنت ديان: «لا يجدر بكاثرين مطالعة كتب من هذا النوع باين، فقد قرأت على الأرجح الكثير من هذه التفاهات في سن يافعة ولن يسعها التمييز بين الواقع والخيال».

احتجّت كاثرين بهدوء: «ما من شيء مشين فيها فهي قصص مثيرة عن أناس يقعون في الحب. نتعلم الكثير ونرتاد الكثير من الأماكن. أعتقد أنها روايات رائعة! لو قرأتها أنت وأمي لتعلقتما بها حتماً».

ونظرت ديان إليه نظرة ذات مغزى تدل على اعتراضها الشديد.

- أرجوك خالي، لا تغضب من نايلا. لا أريدها أن تتورّط في أيّ مشاكل، فهي التي أشارت إليّ بأن أحضرها إليك! لو ذكرت شيئاً لأمي أو أبي عن الموضوع، لأرغماني على المكوث عند جدي وجدتي عندما يسافران في المرة المقبلة. وقد تفقد نايلا وظيفتها.

هز رأسه قائلاً: «لن أطردها، بل على العكس، أريد أن أشكر نايلا على مساعدتها. فقد تكشّفت أمور ينبغي معالجتها فوراً».

ارتعشت ديان: «قد تكون امرأة أخرى مجنونة تلاحقك من دون علمك. لا شك أنها قصدت مكتبك. أنا أخشى عليك».

يحق لخطيبته أن ترتعب. فمنذ أقل من ستة أشهر، أصابتها رصاصة طائشة كانت موجهة إليه فحُكم عليها بالبقاء في كرسي متحرك، ربما إلى الأبد.

أحس باين بالذنب فدار حول المكتب وجلس القرفصاء قربها ثم أمسك بيدها قائلاً:

- امرأة مريضة أخرى؟ سأستعلم عن الموضوع. ابقيا هنا وسأعود فوراً.

نهض وربت على ابنة أخته الشاحبة ثم التقط الرواية وخرج من

مكتبة صهره. وبعد لحظات وجد نايلا في المطبخ تستمتع بشرب الشاي مع بعض الخدم.

تجهم وجهها عندما ظهر حاملاً الرواية وسألها من أين اشترتها.

ـ أبتاعها من كشك لكن يمكنك إيجاد نسخ مستعملة في مخزن الكتب المستعملة في القرية ويدعى متجر «كاندل غلو».

ـ أشكرك نايلا.

ـ لا شكر على واجب. أردت أن أقول لك أيضاً إنني رأيت وجهك على أغلفة أخرى لكن شعرك وعينيك كانت مختلفة دوماً. وكنت أظنها مصادفة حتى وصلت هذه الرواية في البريد. اقترحت على كاثرين إخبارك فمسألة الشبه مذهلة! والقصة أيضاً.

القصة!!

ومن دون أن يضيّع المزيد من الوقت، أخرج هاتفه الخلوي واتصل برجال الأمن لملاقاته في الجهة الخلفية لمنزل شقيقته.

منذ بلوغه سن السابعة عشرة، وقع باين ضحية العديد من الحوادث المؤلمة التي استدعت في النهاية تدخل الشرطة. لكن منذ كانون الأول الماضي وتحديداً في الفترة الممتدة ما بين الميلاد ورأس السنة، نجحت امرأة مريضة نفسياً في التسلل إلى ممتلكات آل ستريلنغ في لونغ أيلند، فيما كانوا يقيمون مأدبة عشاء على شرف آل ويلي.

قبل عطلة الميلاد، أمضى باين فترة طويلة خارج البلاد وقضى معظم الوقت يعمل في مكتبه ليتمكن من إنهاء الأعمال المكتبية المتراكمة. وفي غمرة انشغاله، اتصلت به أمه وأظهرت استياءها لأنه لم يحضر إلى المنزل. وسألته إن كان بإمكانها الاعتماد عليه للمشاركة في العشاء، وما إذا كان قادراً على إحضار ديان معه.

وافق على المجيء وعلى اصطحاب ديان معه لعلمه مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة لأمه.

ترجلا من السيارة أمام منزل ذويه فبرزت الدخيلة من بين نبات

العليق. ادعت تلك المرأة أنها تحب باين وأنها إذا لم تحصل عليه، فلن يكون لسواها أيضاً.

لمح باين لمعان المعدن فدفع ديان جانباً قبل أن تنطلق الرصاصة لكن المصوّب أخطأ الهدف واستقرت الرصاصة في أسفل ظهر ديان قبل أن يستطيع دفع تلك المجنونة أرضاً. تلك التجربة الفظيعة غيّرت حياتهم جميعاً.

وفي طريقهما إلى المستشفى، تعلّقت ديان به وهي تخشى أن تموت فأخبرته عن مقدار حاجتها إليه وحبها له. لم يكن يملك أي فكرة عن عمق مشاعرها نحوه إذ لم يسبق أن أثارت اهتمامه. ولكن في ذلك الوقت، لم يكن قادراً على التخلي عنها في الوضع الذي كانت تتخبّط فيه.

بعد بضعة أشهر، لم تتمكن من السير مع أنها لم تفقد الشعور برجليها.

لقد أخبرها الأطباء أنهم بذلوا ما في وسعهم ونصحوها بالذهاب إلى عيادة في سويسرا ذاع صيتها في معالجة إصابات العمود الفقري.

لكن ديان رفضت التفكير بالعرض خوفاً من فشل هذه التجربة وأبت تقبّل المواساة. عندئذ، استجمع باين شجاعته ورأى أنه إذا عرض عليها الزواج، فقد تسعى إلى تلقي المساعدة التي تحتاجها.

ولكن بعد إعلان ارتباطهما، بدأت تنطوي على نفسها أكثر فأكثر، رافضة مناقشة فكرة الذهاب إلى سويسرا. والأسوأ من ذلك أنها أصيبت بهاجس مرضي من فكرة تعرّضهما مجدّداً لإطلاق النار.

وبغية طمأنتها، اتخذ باين تدابير أمنية لحمايتها وأهلها وجميع القاطنين في ممتلكات آل ستريلنغ كلهم. لقد أمّن لخطيبته حماية دائمة طيلة النهار كما اختار أربعة مرافقين يواكبونه إينما ذهب في جولاته المهنية.

كانت الطائرة تقله إلى مكتبه في مانهاتن. وإذا اضطر إلى السفر عبر البحار، فيستخدم طائرته الخاصة. وعندما يرغب في الذهاب إلى مكانٍ ما

في لونغ أيلاند، يقود أحد رجال الأمن السيارة المصفّحة.

وفي الطريق إلى مخزن الكتب المستعملة، ناول الرواية إلى مايك وهو ضابط متقاعد من البحرية، غدا حارسه الشخصي في السنوات الثلاث الأخيرة.

ـ ماذا نستنتج من هذا؟

ألقى مايك نظرة واحدة ثم صفّر والتفت إلى باين بذهول قبل أن يعيد الكتاب إليه:

ـ ولمَ أنت على الغلاف؟

ـ هذا ما أنوي معرفته.

وفيما كان السائق يبحث عن متجر «كاندل غلو»، فتح باين الرواية على صفحة حقوق النشر فقرأ فيها: «منشورات الوردة الحمراء العاطفية، الجادة الثانية، نيويورك...»

وضاقت عيناه فهو لم يسمع بهذه الدار من قبل لكن ذلك المبنى يقع شرق سنترال بارك قرب مطعم ترتل باي غريل حيث يلتقي غالباً زبائنه الأجانب. يبدو أن الكتاب نشر منذ شهرين، ما يعني أن الجهة المسؤولة عن صورة الغلاف تعرفه منذ مدة طويلة قبل تاريخ نشر المطبوعة. فغالبية دور النشر تنشر كتباً يعود تاريخ تأليفها إلى ثلاث سنوات أو أكثر.

وقرأ تنويهاً جاء فيه: «إن الشخصيات، والأسماء والحوادث التي يتضمنها الكتاب غير موجودة إلا في خيال الكاتب». يا للكذب!

وعلا العبوس قسمات باين. قلب الرواية ليقرأ الملخص وعندما انتهى من الجملة الثانية تصبب العرق البارد من جسده...

«أسرار؟

يختفي البليونير النيويوركي المذهل والقوي لوغن تاونسند سراً مؤلماً عن خطيبته وعن عائلته».

همس باين: يا إله السماوات!

«... وعندما تعرّض لحادث في مقاطعة كانيون لاندز غربي الولايات المتحدة، اكتشفت الدكتورة ماغي اسبورن ماهية السرّ. لقد عرضت حياتها للخطر لإنقاذه من دون معرفته لكن الأسرار تملك طريقة للخروج».

«لا يعلم لوغان أن ماغي تخفي عنه سراً إلا بعد عودته إلى نيويورك»

«وفيما هو على وشك القيام بأهم عملية دمج في حياته، وجد نفسه ممزقاً بين الواجب والرغبة...».

عند انتهائه من قراءة السطر الأخير، شعر باين وكأن أحدهم خطا فوق قبره. كوّر الرواية في قبضته لاقتناعه بأن الكتاب لم يكن مجرد مصادفة.

سيقوم حتماً بتمشيط الجزيرة للتخلص من كل النسخ. لكنه لن يتمكّن من ذلك لأسباب عديدة وواضحة وسيضطر للجلوس هنا، فيما هو يحاول احتواء رد فعله الوحشي.

انعطف رجل الأمن الذي يتولّى القيادة ثم توقف أمام متجر الكتب المستعملة المقصود. ترجل اثنان من رجال الأمن ودخلا إلى المتجر. كانت الساعة قد قاربت موعد الإقفال، ما سرّ باين إذ لم يشأ جذب أي اهتمام غير مرغوب فيه.

عندما تأكدا من أن الطريق آمنة، دخل مايك وباين إلى المتجر العتيق حيث تكدّست الكتب حتى لامست السقف، فبدا المكان مثالياً لهواة المطالعة.

التمعت عينا البائعة العجوز لدى اقترابه:

ـ سيد سترلينغ، عمت مساءً! أدعى آليس بيري. إنه لشرف حقيقي أن أحظى بك في متجري.

مدّت يدها فصافحها مجيباً: «يسعدني لقاؤك سيدة بيري».

ـ وبم أخدمك؟

ناولها الرواية فألقت نظرة واحدة عليها ورفعت بصرها إليه صارخة

بحماس:

ـ كنت أعلم أنه أنت! فكل قارىء أتى إلى هنا مؤخراً كان يتحدث عن الأمر.

تأوّه باين: «وفقاً لقريبة لي، ثمة روايات أخرى تحمل رسماً على الغلاف يشبهني».

تمتمت: «آه، ثمة المزيد! ولكن هذه...»

إذن، لم تكن كاثرين أو نايلا تبالغان! لقد اتضح أن الأمور تسير من سيء إلى أسوأ.

ـ لقد نفدت نسخ رواية «عملية دمج في مانهاتن» من المكتبات على الساحل الأطلسي. وتلقيت الكثير من الاتصالات من باعة يريدون نسخاً، أما أولئك الذين ابتاعوا الرواية لدى نشرها فمتمسكون بها. احتفظت بنسخ منها ومن تلك الأخريات لنفسي ولابنتي التي تساعدني في إدارة المتجر. فهل تتلطف بتوقيعها قبل مغادرتك؟ ستغمرنا السعادة إذا وافقت.

ـ سأكون مسروراً لو أنني وافقت على الظهور على تلك الأغلفة.

بهتت ابتسامتها: «لا أفهم».

ـ ولا أنا سيدة بيري. لهذا السبب، أتيت لأحاول كشف هذا اللغز.

ـ أتعني أنهم استغلوا صورتك؟

ـ لا أدري، ولكنني سأكتشف ذلك. هل لي برؤيتها أرجوك؟

ـ بقي لدي أربع روايات خبأتها في الغرفة الخلفية لبائع سيأتي من كونيكتيكت يوم الجمعة. إنه يجمع الروايات. سيدفع ثمنها خمسة آلاف دولار. أمهلني دقيقة وسأحضرها لك.

قال مايك مداعباً فيما اختفت المرأة عن الأنظار: «خمسة آلاف فقط؟»

تجاهل باين الملاحظة، وتوجه إلى أقرب رف للكتب حمل عبارة

«الغاز». فأخرج واحداً منها ليرى أي نوع من الغلاف يزين الكتاب.

ـ ها نحن.

أعاد الكتاب وتوجه إلى المرأة التي وضعت أربعة كتب على المنصة أمامه. ألقى نظرة سريعة فأصيب بالرعب. كان وجهه مصوراً عليها بكل وضوح.

إحدى تلك الروايات أظهرته على شكل رجل اسكندينافي، بشعر أشقر فاتح طويل وعينين بندقيتين وعضلات تفوق ضعف عضلاته. وكان الكتاب يحمل عنوان «فارس العروس».

كما بدا في كتاب آخر كأمير من العصور الوسطى في ثياب ملكية احتفالية. بدا شعره أسود وعيناه سوداوين، أما العنوان فهو «أمير أحلامها».

في الرواية الثالثة «الحب المموّه» بدا فارساً ملكياً كندياً، يرتدي زياً أحمر ويعتمر قبعة تغطي رأسه.

آخر رواية حملت عنوان «عابر النجوم» وصوّرته كرجل آتٍ من المستقبل بشعر وعينين بنيتين.

وعلى الأغلفة كلها، كان يحتضن امرأة جميلة. بدا وكأن الشخص نفسه ينفذ الرسوم كلها.

خرقت ملاحظة مايك الهادئة الصمت: «يا لها من حياة تعيشها».

لم يجب باين بل راح ينظر إلى الكتب الأربعة الصادرة عن منشورات الوردة الحمراء الرومنسية والتي تمّت طباعتها السنة الماضية.

ـ كم يبلغ عدد الدور التي تصدر روايات عاطفية إلى جانب الوردة الحمراء؟

ـ ثمة العشرات من الدور في العالم. لكنك تجد عندي روايات من الولايات المتحدة، وإنكلترا، وكندا. ودار الوردة الحمراء تتفوّق على غيرها.

ـ هل رأيت وجهي على أغلفة روايات أخرى عدا تلك الصادرة عن

دار الوردة الحمراء؟

ـ لا.

كانت هذه الأخبار الوحيدة الجيدة حتى الآن. وأمل ألاّ يكون لدار الوردة الحمراء شبكة توزيع واسعة.

ـ هل تشير رواياتك إلى هوية الناشر؟

ـ نعم.

ـ هلا أرشدتني إلى قسم الروايات الرومنسية؟

ضحكت قائلة: «إنها موزعة عملياً في المتجر كله باستثناء قسم الألغاز والخيال العلمي هنا في الواجهة».

جاهد لإخفاء صدمته: «لِمَ لا نلقي نظرة على قسم الوردة الحمراء أولاً؟»

ـ اتبعني سيد سترلينغ.

قادته حتى ربع الرواق مشيرة: «إنها تبدأ من هنا لتنتهي عند آخر المتجر».

اتسعت عيناه غير مصدّق: «أهذه كلها من منشورات دار الوردة الحمراء؟»

ـ نعم. تصدر الشركة تسعة أنواع مختلفة من القصص الرومانسية. وهذه بالطبع النسخ الإنكليزية فكتبها تترجم إلى ما يزيد عن مئة لغة أو شيء من هذا القبيل.

ـ مئة! هذا يعني...

وأضافت العجوز: «نحن نحتفظ ببعض النسخ الإيطالية والروسية للزوّار الموسمين».

تساءل عن عدد المرّات التي أتت فيها كاثرين إلى هنا من دون علم أمها. كان باين يحب شقيقته فيليس ولكنها دقيقة في أمور كثيرة على غرار والدتهما. وشك في أن تكون قد قرأت يوماً قصة رومنسية مستعملة فهي صاحبة ذوق رفيع في الفنون، والموسيقى والأدب.

وتساءل عما إذا كانت ديان تمقتها أيضاً انطلاقاً من المبدأ نفسه... أو لعلها قرأت البعض منها في سن المراهقة وهي ترفض الإقرار بذلك. أراد أن يعرف، فهذا سيجعل من ديان إنسانة حقيقية أكثر فيما لو خالفت رغبات أمها على طريقة كاثرين وتجرأت على ذلك.

ـ إلى متى تعود معظم هذه القصص؟

ـ بدأت دار الوردة الحمراء عملها منذ أربعين سنة على الأقل بحسب علمي.

ـ أربعون سنة؟؟

فكّر في الرقم الضخم وبدا واضحاً له أن الآلاف إلى جانب نايلا وكاثرين كانوا يقلبون في صفحات تلك القصص لما لا يقل عن أربعة عقود.

إنها لمدة طويلة... طويلة جداً لتغدو معها الدار مؤسسة معروفة.

ـ ستجد كتبها مدرجة تحت عناوين مختلفة بحسب كل قسم وهي ترضي الأذواق كلها.

تمتم باين: «فهمت».

وقرأ بصوت عال: «لمحة من الرومنسية، من الإثارة، من الجاسوسية، من التاريخ، من الأطفال، من الملكية، من الخيال العلمي، من حياة رعاة البقر، ولمحة من الفكاهة».

تنهدت العجوز مضيفة بدورها: «تستطيع التنقيب فيها بقدر ما تشاء».

ـ شكراً لك.

لم يجد فائدة في التمحيص في الكتب الرومنسية المكوّمة كالجبال بما أنها أخرجت عن الرفوف كافة الكتب التي تحوي شبهاً بها.

مجرد التفكير في الأمر أربك مخيلته لكنه تناول كتاباً من كل قسم ليتفحص الأغلفة.

كانت جميع الصور منفذة على شكل رسوم وليس صور فوتوغرافية.

حملها إلى المنصة معلناً:

ـ سأبتاع هذه الروايات التسع. أما بالنسبة للأربع التي تحتفظين بها، فأنا أنوي اقتراضها لأربع وعشرين ساعة.

وأخرج بطاقة اعتماد من محفظته: «أضيفي عشرين ألف دولار إلى فاتورتي وعندما أعيد الكتب، يمكنك إعادتها إلى رصيدي».

هزت رأسها بالنفي: «أثق بأنك ستعيدها سيد سترلينغ لذا لن يترتب عليك أي مبلغ».

ـ شكراً.

أعاد بطاقة اعتماده إلى جيبه وأخرج مئة دولار وقال وهو يدسّها في يدها:

ـ أنت خدومة جداً.

همت بإعطائه الفكة لكنه طلب منها ألا تزعج نفسها بالموضوع.

ـ إنه كرم فائق منك.

ردّ بابتسامة: «أنت تسعدينني بذلك».

ـ ما دمت مصراً... وبعد مرور كل هذه السنوات، أجد مثيراً أن ألتقي فرداً أسطورياً من عائلة سترلينغ.

لقد سمع هذا التعليق مراراً في حياته.

وتمتمت في قسماته معلنة: «أمل أن يتضح أن الأمر مجرد خطأ غير مقصود».

ـ وهذا ما أتمناه بالتحديد.

وأكمل سراً: وإلا سيبدأ كابوس آخر.

وضعت الكتب في كيس ناولته إياه فقال: «أعدك بأن تستردي القصص. شكراً مجدداً سيدة بيري».

ـ أهلاً بك.

وما إن صعد إلى السيارة حتى اتصل بمحاميه درو والاس وشرح له ما حصل. فاتفقا على التلاقي في مطعم «كريغ هيد» ما إن يستطيع درو

التنصل من ارتباط هام على العشاء.

ارتاح لأن درو يستطيع المجيء بناءً على طلب صغير مهما كانت الساعة، فأخبره بأنه سيرسل له طائرة الهليكوبتر وأنه يحتاج للاجتماع به الليلة بسرية تامة. عندما عاد إلى منزل شقيقته وجد ديان في الحديقة الخلفية تطالع بعض المجلات التي تعنى بالزفاف فيما كانت كاثرين تلهو مع الكلب.

ومع أن باين يحب أولاد أشقائه كلهم إلا أنه يكن شعوراً مميزاً لكاثرين. فقلبها ينفطر على الناس الأقل حظاً في هذا العالم سواءً أكانوا أناساً أم حيوانات. وقد وجدت كاثرين صعوبة في تقبّل وفاة شقيقها تريفور إثر إصابته بسرطان في الدم. وعندما بلغت سن الرشد واستلمت ميراثها، علم بأنها ستهبه كله لدعم الأبحاث الهادفة إلى إيجاد عقار لهذا المرض.

ومنذ الحادث، تعلقت ابنة شقيقته بديان مصمّمة على أن خطيبته السمراء تستطيع معاودة المشي وقد عززت رغبتها في تحقيق ذلك من حب باين لها.

وحين سافرت فيليس وترنت مع ابنائهما الثلاثة، بقيت كاثرين مع خالها لتساعد ديان وأمها في ترتيبات الزفاف الذي حُدد في الأول من آب.

وكان باين قد وضع جدول أعماله من دون علم ديان ليتمكن من اصطحابها إلى سويسرا مدة شهر. سيمضيان شهر عسلهما في مستشفى خاص يُعالج المرضى الذين يعانون من إصابات مشابهة لإصابة ديان. سيأخذها إلى هناك مهما كلف الأمر.

بعد ترجّله من الليموزين، ناول مايك الكيس قبل أن يدنو من خطيبته التي انفرجت أساريرها عن ابتسامة لدى رؤيته مع أن عينيها البنيتين بدتا قلقتين.

عانقها على عجل لعلمه أن ما سيقوله سيزعجها.

- ينبغي إيجاد حل لمشكلة غلاف القصة. لذا أخشى أن نضطر إلى إرجاء مشاريعنا المتعلقة بتناول العشاء في نيويورك.

- كنت أعلم بأنك ستقول ذلك.

- سيوافيني درو ما إن يقدر.

- حسناً.

- سأتصل بك ما إن ننهي حديثنا. في هذه الأثناء، سيوصلك سام إلى المنزل.

دفع كرسيها نحو سيارة الليموزين ثم حملها ووضعها على المقعد الخلفي. هرعت كاثرين وكلبها لإلقاء تحية الوداع فيما كان جون يطوي الكرسي ويضعه في الصندوق.

- عدني أن تتصل بي لاحقاً لتخبرني بما يجري؟

لم يستطع أن ينظر إليها من دون أن ينتبه إلى ساقيها المشلولتين تقريباً. فمع أنه لم يضغط على الزناد إلاّ أنه سبب عجزها عن المشي.

اعتصر يدها ثم أغلق باب السيارة قائلاً: «سأفعل بالتأكيد».

نادتها كاثرين:

- إلى اللقاء، ديان.

عندما أقلعت السيارة أحاط باين كتفي قريبته بذراعه وسار معها إلى المنزل.

- أريد أن أشكرك على طيبتك مع ديان.

- أريدها أن تتحسّن.

- وأنا أيضاً.

- إنها مصممة على أنها لن تمشي مجدداً لكنني أخبرتها أن هذا جنون لأنها ما زالت تشعر بساقيها. لن أسمح لها بالاستسلام! وحتى لو أنها لا تود الذهاب إلى تلك العيادة في سويسرا فيجب أن تأخذها، خالي باين.

فتح لها الباب، وما إن دخلا المنزل حتى قال: «هذه خطتي».

- عندما كنت في البلدة، انفجرت بالبكاء وقالت إنها لا تريد

الخضوع لعملية لن تجديها نفعاً.

صر على أسنانه قائلاً: «أخشى أن رؤية غلاف ذلك الكتاب أعادت إليها ذكرى ما عانته».

- إذن، لديها سبب إضافي للنضال حتى يتحسّن حالها.

وتمتمت كاثرين مستطردة: «على الأقل، لم يقل طبيبها إن حالتها ميؤوس منها. فوضعها ليس مشابهاً لوضع تريفور».

وارتجف صوتها فقبّل باين جبينها: «أنت محقة. أحبك لشعورك الزائد بالاهتمام. عندما سألتني أمك الاعتناء بك خلال وجودها في المكسيك، كنت سعيداً بذلك. أتعلمين؟ سأتفرّغ بعد ظهر الغد وآخذك وديان للإبحار».

- إنها لا تهوى الإبحار.

شعر باين بأن ثمة خطب ما بين كاثرين وديان فسأل: «ما الأمر يا حلوتي؟»

وجاء ردها هادئاً: «لا شيء».

- تستطيعين ادعاء ذلك أمام أيّ كان ما عداي.

رفعت ابنة شقيقته عينيها الزرقاوين إليه:

- وبختني ديان لمطالعتي قصصاً رومنسية. قالت إنها مضيعة للوقت وبعيدة عن حياة الواقع.

فكر باين في سرّه بأنه سيحتفظ بحكمه حتى يتسنّى له قراءة الرواية.

- لا ينبغي أن تأخذي اعتراضها على محمل الجد فهي محبطة الآن.

- أنا لا أفعل ذلك. ولكنها على هذا الحال منذ خطوبتكما.

عقد حاجبيه: «أي حال؟؟»

- لنقل فقط إنها لا تنفك تؤنبني عندما لا تكون موجوداً.

- هذا غير صحيح كاثرين، فهي تهتم كثيراً لأمرك حتى أنها طلبت مساعدتك في ترتيبات الزفاف.

- طلبت مني ذلك فقط لأنك أوحيت لها أنها فكرة سديدة في غياب

أمي وأبي. لم أطلعك أبداً على ذلك لكننا عرفنا، أنا وليندا، أن ديان مغرمة بك منذ سنتين في ذلك الاحتفال الذي أقيم على اليخت لمناسبة الرابع من تموز وذلك عندما طلبت منا أن نرحل وندعكما معاً.

عندئذٍ، أدرك أن كاثرين الفطنة تعرف الكثير عن خطيبته أكثر منه. ففي غمرة انشغالاته حينها، لم يلاحظ باين اهتمام ديان به. ليته لم يغادر مكتبه ذلك المساء! لكن كلمة «ليت» لن تحدث تغييراً في الوضع الذي قلب حياتهما وأحلامهما.

ودخل إلى المكتبة ثم أردف قائلاً:

- لمَ لا تدعين ليندا للإبحار معنا مع أو من دون ديان؟

- حقاً!

ارتسمت ابتسامة مشرقة على وجهها: «شكراً خالي، أنت الأفضل. سأدعوها عندما نلتقي لاحقاً».

- أجل أراك لاحقاً.

وقبل أن يغادر المنزل في رحلة قصيرة إلى مطعم «كريغ هيد»، لمح الكلب يتبعها على السلالم. يهوى آل سترلينغ الحيوانات، ولم يكن باين بشكل استثناءً. ولكن بعد موت كلبه برونو، قرر عدم شراء أيّ كلب آخر.

عندما انضم إلى مايك في السيارة أسر إليه:

- منذ بضعة أيام، أخبرت ديان أنني أشتاق لاقتناء كلب وأخطط لشراء واحد لها كهدية زفاف فلا تبقى وحيدة عندما أكون في الخارج. لكن يبدو أنه آخر ما نوده مع أنني ذكرت أنه يمكن استخدامه كحارس أيضاً.

- لا يبدو الأمر مفاجئاً، لاسيّماوأن والدتها تعاني من حساسية على الكلاب.

- تدّعي ديان أنها كانت مغرمة بي منذ سنوات. لكن منذ خطوبتنا، بدأت تعي أن القواسم المشتركة بيننا قليلة. أخشى أنني لست الرجل

المثالي الذي حسبتني.

تأمله مايك بصدق: «لا تكرهني لما سأقوله ولكن كان ينبغي على أحدهم تحذيرها من المثل القديم القائل: احذري مما تتمنين فقد تنالينه».

- أنت مخيف مايك.

- لماذا؟

- لقد قلت الكلمات التي كنت أفكر فيها. مساء أمس، انهارت وأقرّت بأنها لا تحب منزلي.

وعبس مايك فأكمل باين:

- وبدلاً من إحضار كلب كهدية زفاف، سألتني إن كان بالإمكان بناء منزل إنكليزي الطراز كمنزل ذويها؟ فذكّرتها بأنها سترث يوماً منزل العائلة لأنها ابنة وحيدة وتستطيع قضاء ما يحلو لها من الوقت هناك بعد زواجنا.

التزم مايك بالصمت وكذلك فعل باين.

بعد مغادرة منزل شقيقته المشابه لبيوت كثيرة في منطقة هامبتون، شق طريقه نحو «كريغ هيد».

يمكن للمال أن يشتري الكثير من الأشياء، مع أنه تسبب له بالألم أكثر مما حسب ذلك ممكناً. إنما أتاح له المال أيضاً فرصة ترميم منزل المنارة العتيق التابع لممتلكات العائلة فحوّله إلى ملجأ يتمتع فيه بالجمال البدائي والوحدة.

كان باين مهندساً لكنه لم يتخصص بالهندسة الداخلية. إنما أدرك ما يريده منذ اللحظة التي رأى فيها قبة كنيسة نوتردام في باريس، فأدخل العناصر نفسها على منزل المنارة فبدا وكأنه منحوتة على تلة تطل على الأطلسي. أما النوافذ الزجاجية التي تفتح نحو الخارج فتطل على منظر لا يرغب بسواه.

أحب التجول في المكان عندما كان يدرس كيفية مدّ كابلات تحت الأرض في مكان صعب ومتشعّب كنيويورك.

كانت هذه الشبكات الحديثة أحد الأجزاء الأقل انتشاراً في البنية التحتية للإنترنت في العالم. ولطالما اعتبرها باين سوقاً واعدة.

لقد سرّ لأنه كان مسؤولاً عن إنجاز الامدادات تحت الأرض لمسافة خمسة ملايين كيلومتر وها هو الآن يبيع حقوق استعمال تلك الكابلات للأفراد. لكن الشركات ومستخدمي الإنترنت حول العالم يأتون إليه كل يوم طلباً للمزيد.

عندما قام ببناء هذا المنزل، لم يكن قد التقى بعد المرأة التي يرغب في الزواج منها. ولو فكر في الأمر، لتصوّر أنّ الفتاة المناسبة ستحب المكان بقدر ما يحبه هو.

ليلة أمس، وعد ديان بأن يجري بعض التعديلات على الطابق الثاني ليجعله أقل برودة وليبعد عنه شبهه بالقلعة. أما قسم المنارة في منزله، فلقد حوّله إلى مكان مفتوح للعمل. وهو المكان الذي استعمل جدرانه السميكة لفرد الخرائط الكبيرة للأنفاق تحت المدن الأميركية والأوروبية الهامة.

ما من وسيلة لمعرفة إلى أين سيقوده مشروعه في السنوات المقبلة، بما أنه دخل في مفاوضات على حقوق الحفر في أكثر من خمسين موقعاً. لكن ذلك يعني أنه سيواجه مشاكلاً تتطلب حلولاً وهذا ما يجب القيام به.

لهذا السبب سيأخذ ديان إلى سويسرا حتى لو اضطر إلى جرّها جراً. وإذا لم يجدِ التعامل مع هؤلاء الأطباء نفعاً، فسينقلها إلى عيادة أخرى للإصابات في النخاع الشوكي في النروج.

إذا استطاع باين استخراج الكنوز المذهلة من الوحل تحت شوارع نيويورك وباريس وروما فمن المؤكد أنه سيجد طريقة ما ليجعل ديان تمشي مجدداً!

نادى السيدة مايرز: «بيتي؟»

كانت بيتي تقيم مع زوجها في المنزل للاعتناء به وللإشراف على المنارة.

ـ أتوقع مجيء «درو والاس» في وقت متأخر هذا المساء. عندما يصل، أرشديه إلى غرفة المكتب، أرجوك؟

ـ بالطبع. هل تود تناول بعض الطعام قبل أن يصل؟

ـ أريد سندويشاً.

ـ سأعده لك على الفور.

وليستغل الوقت، أسند ظهره إلى الوراء في كرسيه المريح وعدّل نور المصباح وبدأ بقراءة رواية «عملية دمج في مانهاتن». انحبست أنفاسه في حلقه مع قراءته الجملة الأولى: لوغان ناوسند لم يكن مغرماً بخطيبته.

ومن هذه النقطة، شعر وكأنه يسير في حقل من الألغام حيث أن أفكاره الدفينة ومشاعره مفضوحة في كل تفصيل من تفاصيل القصة. وأخيراً وصل إلى الصفحة الأخيرة وأقفل الكتاب فلاحظ أن يديه ترتجفان بوضوح. وتذكر ما قالته كاثرين قبل أن يغادر إلى منزله...

«ديان وبختني على قراءة القصص الرومنسية. قالت إنها مضيعة للوقت ولا تعكس الواقع».

كم أنّ ديان مخطئة!

شعر باين بالامتنان لأن كاثرين لم تقرأ القصة بعد إذ ستجلب لها المزيد من الألم.

ارتسمت صورة الغلاف في مخيلته من جديد فزادت من صدمته لأن هذه الرواية موزعة في الأسواق.

ـ باين؟

نهض عن الكرسي لدى سماعه صوت درو المألوف وأدرك عندئذ فقط أنه كان منغمساً في قراءة القصة المحبوكة بشكل جيد فلم يلاحظ أن بيتي أحضرت له صينية الطعام منذ بعض الوقت. لكنه فقد شهيته لسوء الحظ.

ـ أنا سعيد بوجودك.

ـ يا الله! تبدو كمن رأى شبحاً.

- ليتني فعلت، ليتني رأيت شبحاً فأواجهه.

وناوله باين الكتاب مضيفاً:

- أنهيت للتو قراءتها. لا أحد وأنا أعني لا أحد كشف مكنونات نفسي وأسراري كما فعل الكاتب. أنا أتحدث عن الأفكار والمشاعر السرية.

أفرغ باين الكيس على مكتبه فتفحص درو الأغلفة وعندما نظر إليه لاحقاً قال:

- تظهر صورتك يومياً في مكانٍ ما في الجرائد وعلى لوحات الإعلانات، ما يعني أنك ستكون دوماً هدفاً لاهتمام غير مطلوب منك. لكن ظهور رسم لك على غلاف كتاب من دون موافقة خطية منك، مسألة قانونية.

- إذاً، أنت لا تظنها مجرد صدفة؟

زم درو شفتيه: «لديك هالة من الجاذبية تسبقك. ومن رسم صورتك لاحظ تلك الذبذبات فأظهرها مع القشرة الخارجية. حدسي ينبئني أنك التقيت هذا الشخص من قبل وفي مكتبك على الأرجح».

وافق باين فيما تابع المحامي: «أشك في أن يكون الفنان والكاتب الشخص نفسه لكنني أفترض أن ذلك ممكن».

فقاطعه باين: «على أي حال، يجب إيجاد حلّ ما فابنة أختي وخطيبتي خائفتان».

رد محاميه: «أقر بأنني لا أستسيغ الأمر أيضاً».

وعقد حاجبيه السميكين مضيفاً: «اطمئن، سأجري عن المسألة في الصباح الباكر ثم أتصل بك. سآخذها معي».

جمع الكتب ووضعها في الكيس فقال باين:

- وعدت صاحبة المتجر بأن أعيد الكتب الأربعة التي تحمل صورتي قبل الخميس كحد أقصى.

- ما من مشكلة.

رافقه باين إلى الباب الشمالي الذي يقود إلى فسحة حيث تنتظره الطائرة وأعلن:

- شكراً لمجيئك الليلة.

- من دواعي سروري. سنتقصى الأمر في القريب العاجل حتى لو اضطررنا للاستعانة بالاستخبارات.

وعندما أوصد الباب لم يكن باين واثقاً من وجود وسيلة أرضية يمكن الاستعانة بها... لاسيّما وأن الكاتب يعرف عنه أموراً لا يعلمها إلا الله...

* * *

٢ ـ في قفص الاتهام

كانت لورين بينيت المعروفة من غالبية الناس باسم رايني، تستعد للرسم عندما رنّ هاتفها في الساعة الثامنة والثلث صباحاً.

وبما أنها تدفع مبلغاً إضافياً لتجنب الاتصالات المزوّجة لأي بضائع، تصوّرت أن المتصل هو باربرا لاندرز إحدى سكرتيرات السيد غولدبرغ، مدير شركة «بطاقات المعايدة العالمية»، حيث تعمل رايني.

كانت باربرا في مثل سن رايني وعزباء. وقد انسجمتا منذ اليوم الأوّل الذي تعارفتا فيه، وهما غالباً ما تتناولان الغداء أو العشاء معاً.

لقد التقت رايني بفضل باربرة المولودة في نيويورك بالكثير من الأصدقاء، وقد تلقت الكثير من الدعوات إلى حفلات لحضور السينما.

ابتعدت عن اللوحة، وتوجهت إلى مكتبها حيث رفعت السماعة.

ـ ستديو رايني بينيت للفنون الجميلة.

ـ رايني، أنا دون فلت مجدداً.

ـ آه، أهلاً دون.

كان دون رئيس قسم الفنون في دار الوردة الحمراء للمنشورات الرومنسية وقد اتصل بها في الأمس بشأن مشروع جديد وأرسل لها بواسطة الفاكس الأوراق التي تحتاجها لتبدأ العمل الفني.

وما بين المهام الموكلة إليها من شركة «بطاقات المعايدة العالمية» وتلك من دار الوردة الحمراء، تراكم العمل لديها وفاق طاقتها. لكنها لن ترفض بالطبع أيّ عمل جديد فهذا هو عملها ومورد رزقها.

ـ آسف لإزعاجك في هذا الوقت المبكر.

ـ الوقت ليس مبكراً بالنسبة إليّ فقد قمت برياضتي الصباحية في المنتزه. كيف يمكن لي أن أخدمك؟

ـ هل يمكنك تزويدي باسم ورقم هاتف الوكالة التي استعنت بعارض منها لرسم غلاف «عملية دمج في مانهاتن» الرائع.

حوّلت نظرها إلى الحائط حيث علقت لوحاتها الزيتية. كانت رايني تشعر بالفخر لأن خمساً من أصل ثماني لوحات كان هو بطلها، بيعت للكتّاب أصحاب الكتب التي يظهر على غلافاتها. وكانت التاسعة في مراحلها الأولى.

عليها أن تقرّ بأن تلك الرسوم رائعة. إلاّ أن الرجل الذي يظهر على الغلاف هو من جعلها ملفتة، وما رايني إلاّ الوسيلة التي أظهرته.

ـ لم أعثر عليه في وكالة لعرض الأزياء، دون.

انجذبت روح الفنانة فيها إلى وجه رجل غريب وجسده فحملتها وسامته الطاغية على وضعه على كل غلاف نفذته لدار الوردة الحمراء.

يبدو أن عائدات مبيع تلك القصص كانت ضخمة، إذ أرسلت لها وروداً حمراء مرات عديدة لتهنئتها على عملها الممتاز. والأفضل من ذلك هو أن الشركة زادت راتبها، فاستطاعت الانتقال أخيراً إلى نيويورك والتفرّغ للأعمال الفنية التي تنفذها لها ولشركة بطاقات المعايدة.

ـ إذاً، فهذا الرجل محطم القلوب الذي شغل قلوب آلاف النساء من نسج خيالك فقط؟

تهدجت أنفاسها: «لا. فحتى مخيلتي لا يمكن أن تحلم بشخص بروعته».

ـ إذن لا بد أنه صديق حميم تخفينه عني.

ضحكت قائلة:

ـ ألا يحق لي أن أحلم؟ بصراحة، لا أملك أدنى فكرة عن هويته.

أعقب ذلك صمت مؤقت قبل أن يضيف: «إذن، كيف حصلت

على إذن لرسمه؟»

ـ لم أفعل. منذ نحو سنتين، رأيته في صورة فوتوغرافية. كان مظهره رائعاً ووجدت نفسي أرسمه في كل مرة أمسك بها بريشة.

سأل من دون مقدّمات: «لمن تعود الصورة؟»

ـ لأخي.

ـ أما زالت معك؟.

ـ لم تكن يوماً لي لأحتفظ بها. السبب الوحيد الذي جعلني أرى الصورة هو رغبتي في مساعدة أمي في تنظيم غرفة أخي قبل أن يعود إلى البيت. أنت تعرفني وتعرف طريقة عملي إذ غالباً ما أستوحي الأفكار من أناس أراهم في الشارع أو في صورة... وإذا ما طاردني وجه ما بإصرار فينتهي بي الأمر إلى رسمه من الذاكرة وهذا ما حصل في هذه الحالة. ثلث الأغلفة التي رسمتها لدار الوردة الحمراء نُفّذت من دون الاستعانة بأي من العارضين كنموذج.

ـ أعلم، ولم نصادف يوماً أي مشاكل. وربما ما من مشكلة الآن.

اشتدت قبضتها على السماعة قليلاً واستوضحت: «ما الأمر، دون؟»

ـ لا شيء على الأرجح. أرسلت لي الدائرة القانونية مذكرة تطلب فيها معلومات عن الموضوع.

طرفت بعينيها: «الدائرة القانونية... هل تعلم ما يجري؟»

ـ ليس بعد... لكن بما أنك أقرّيت أنك رأيت وجهه في صورة، فأريحيني وكلمي أخاك.

ـ دون... أنت لا تفهم. الرجل في تلك الصورة كان ضمن مجموعة من السيّاح، فكريغ مرشد سياحي في النهر في كولورادو. في كل صيف، يُقِلّ عشرات لمجموعات على متن قوارب عبر نهر الكولورادو ويلتقط لهم صوراً. إنها سنته السادسة ولا بد أنه التقط المئات من الصور الجماعية وركنها في صندوق في خزانته. لا أملك أدنى فكرة عن تاريخ

تلك الصورة حتى.

ـ هل هي مؤرخة؟

ـ ربما. لم أعر الأمر أي اهتمام حينها. إنه يخطط لافتتاح متجر رياضي ذات يوم وسيستعملها كديكور. قد يتذكر شيئاً فريداً عن رحلة معينة لكنني أشك في أن يتذكر اسماً.

ـ هلاّ سألته على أيّ حال؟ ثم اتصلي بي لتزويدي بالمعلومات في أقرب وقت ممكن.

ـ لقد شارف حزيران على نهايته، وهو يجول في الأنهار منذ ثلاثة أسابيع. جل ما يمكنني فعله هو ترك رسالة له في معرض هورسهيد. سيخطرونه بوجوب مخابرتي، لكن قد تمر بضعة أيام أو أسبوعاً قبل أن أسمع منه.

وساد الصمت مجدداً ما ضاعف عصبيتها.

ثم تمتم دون في النهاية: «اسمعي، سأتصل بالدائرة القانونية لأستعلم عن سبب طرح هذه الأسئلة، ثم أعاود الاتصال بك. هل يمكنك البقاء في المنزل لبعض الوقت؟»

ـ نعم. فأنا أنهي رسم غلاف رواية «سر العروس» وسأرسله إلى مكتبك عبر البريد بعد غد.

ـ ممتاز. أتطلع شوقاً لرؤيته. توقعي سماع صوتي قريباً.

أقفلت الخط، وعادت إلى لوحتها لكن اتصال دون أحبطها لسوء الحظ.

وبدلاً من تناول الفرشاة لاستكمال ما تبقى من خمار العروس، توجهت إلى الرسم الذي نفذته على غلاف رواية «عملية دمج في منهاتن».

ها هو هناك... تجسيد حيّ لأحلامها على قطعة قماش. كان يضج بالحياة بشعره الكثيف البني القاتم وعينيه الزرقاوين اللتين بدتا وكأنهما تتخيلان أموراً لا يستطيع أي كان تصوّرها.

كانت ملامح وجهه الصارمة تدل على حياة الكد والتضحيات والانتصارات التي يعيشها. أما بنيته فتليق بغازٍ تحت سترته الرسمية. إنه شخص يتجرأ على اكتشاف آفاق جديدة... وهو رجل لم يغيّره بعد حب امرأة... ربما سحرتها شخصيته، ما جعلها تنجح في بث الحياة فيه حتى استحقّت الجائزة الأولى عن هذا الغلاف.

ستُمنح جائزة في آب وستتسلم بوني ريغلي، الكاتبة، جائزة عن روايتها «عملية دمج في مانهاتن» التي اختيرت أفضل رواية عاطفية.

وبقدر ما سعدت رايني بهذا الشرف، إلاّ أنها لم تستطع التخلي عن اللوحة.

رن الهاتف مجدداً وهرعت رايني للإجابة: «دون»؟

ـ لا. أنا غرايس كارلو المحامية المسؤولة عن دائرة الشؤون القانونية في دار الوردة الحمراء. لقد قررت الاتصال بك بنفسي.

شعرت رايني أن العرق يتصبب من جبينها علماً أنّ المكيف يعمل جيداً.

ـ شكراً لمعاودتك الاتصال بي بهذه السرعة إذ أقرّ لك بأنني متوترة قليلاً.

ـ بعد حديثي مع دون، أظن أننا سنكون بخير. أين أنت؟

ـ ما بين الشارع رقم ٨٦ ووليكسنغتن.

ـ هذا جيد. هل يمكنك الحضور إلى مكتبي في العاشرة؟

واتسعت عينا رايني الخضراوان: «أتعنين اليوم»؟

ـ تماماً. فكلما أسرعنا في معالجة الموضوع كلما كان أفضل. سأشرح لك ما يحصل عندما تصلين إلى هنا. اصعدي إلى الطابق الثاني وانعطفي يساراً فأنا في آخر الرواق.

وانقطع الاتصال.

تسارعت نبضات قلب رايني فيما كانت تستحم وترتدي تنورة وبلوزة قطنية زرقاء اللون.

سرحت شعرها الأشقر الذهبي وانتعلت صندلاً وخرجت من باب شقتها الصغيرة المفروشة. هرعت تنزل الطوابق الثلاثة إلى مدخل المبنى الذي يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية.

إن لم تحل الأمور وخسرت عملها، فستعود إلى كولورادو لكنها لا تتصور أن ذلك سيحدث قريباً.

بدا لها أن ذاك الحديث مع المحامية هو الشيء الوحيد المزعج الذي صادفها منذ انتقالها إلى هنا قبل أربعة أشهر.

كانت تشعر بضآلة حجمها بين ناطحات السحاب بعد أن أقامت في بلدة صغيرة طيلة حياتها. ونيويورك عالم مختلف يحوي أناساً من كل جنس ولون. كانت تحب الاختلاط بزحمة الناس وسط المحلات الراقية، كما تحب تنشق الروائح وسماع الأصوات. وهي تحب مانهاتن لأنها نابضة بالحياة وقد باتت الآن جزءاً منها ما يجعل كل يوم استثنائياً... حتى اليوم!

شعرت بانقباض في معدتها منذ تلقيها الاتصال الهاتفي. ماذا لو أنها قامت بتصرف رهيب جداً يحرمها سعادتها الحالية؟ هذا الخوف جعلها تحثّ الخطى.

وصلت إلى دار الوردة الحمراء وصعدت السلالم المؤدية إلى الطابق الثاني. وعندما بلغت نهاية الرواق، دخلت الدائرة القانونية وتوجهت إلى المكتب الأمامي.

ـ أنا لورين بينيت. غريس كارلو تتوقع وصولي.

أرشدتها عاملة الاستقبال الشابة إلى المكتب فتوجهت إليه رايني.

لوحت لها المحامية من الداخل قائلة: «جيد! لقد حضرت في الموعد المحدد».

كانت امرأة ضخمة وطويلة، تبدو على الأرجح في الستينات من عمرها، وترتدي بذلة سوداء وبلوزة مرقطة باللونين الأبيض والأسود. رفعت نظاراتها عن شعرها الأشقر وتفحّصت رايني لبعض الوقت.

- كم عمرك؟

- سبعة وعشرون عاماً.

- تبدين في الحادية والعشرين فقط. أنت محظوظة. يمكنك مناداتي غريس.

وابتسمت لها ومدت يدها فصافحتها رايني.

- اجلسي.

جلست رايني على كرسي مواجه لمكتبها وهي تقول:

- أفترض أنني رسمت شخصية معروفة بالصدفة.

أصدرت المرأة صوتاً مرحاً من حنجرتها: «ألم تسمعي يوماً بمصرف سترلينغ الأميركي»؟

عضت رايني شفتها: «ومن لم يفعل»؟

- ألم تسمعي بخطوط سترلينغ للنقل؟

بدأت رايني تشعر بثقل في جسمها وردّت بالإيجاب بإيماءة من رأسها.

- ألم تسمعي برئيس محكمة العدل العليا ريتشارد سترلينغ؟

وهمست رايني: «بلى».

- ألم تسمعي بالسناتور فيليس سترلينغ - بويس؟ السفير ليو سترلينغ؟ الأميرال دانيال سترلينغ؟

أطبقت عينيها بقوة لوهلة: «طبعاً».

وتملكها الارتباك فناولتها غريس مجلة صدرت حديثاً عن أغنياء العالم معلنة:

- كل أولئك السترلينغ لا يضاهون هذا الرجل.

استرقت رايني نظرة واحدة إلى الرجل على الغلاف وأطلقت صرخة. قرأت التعليق مرتين قبل أن تتأمل الرجل الذي يعتمر قبعة ويتكىء إلى كابل ضخم:

- . . . ملك الزجاج البليونير النيويوركي، الذي سيغدو عما قريب

تريليونير، باين سترلينغ، اكتشف مدفناً قديماً أثناء مدّ شبكة في مملكته السفلية قرب وال ستريت.

وأدركت فجأة سر انجذابها إليه الذي دفعها إلى رسمه.

ارتعش صوتها قبل أن تعيد إليها المجلة.

- يا الله!

نظرت إليها المحامية بتعاطف: «أنت محقة فهو من سلالة أحد أبناء إيرل سترلينغ الذي ترك انكلترا واستقر في الولايات المتحدة لبناء مملكته الخاصة».

وربتت على الغلاف مضيفة:

- هذا الرجل معرّض للأضواء ولكنه جذاب جداً ما ينعكس عليه سلباً أحياناً عن عمد أو عن غير عمد.

ثم غمزت رايني التي تأوهت بصوت عالٍ وأكملت: «سنتيا تافت هي آخر محامية انضمت إلى فريقنا وقد تسلمت القضية عندما كنت في إجازة. لقد جاءت من لوس أنجلوس ولعلها لم تدرك التشابه لأن باين سترلينغ شخصية معروفة على نحو مختلف عن شخصيات هوليوود. لدى عودتي لاحظت شبهه بالرجل على الغلاف ونبهت كلود إلى ذلك، لكنه طمأنني إذ لم تطرأ مشاكل مع الأغلفة الأخرى. ولن تكون المرة الأولى التي يرسم فيها فنان رجلاً يشبه شخصاً من الواقع».

وأقرت رايني: «باستثناء أنني رسمته من ذاكرتي».

- وفقاً لدون، أنت غالباً ما تقومين بذلك.

- نعم.

- أظن أننا سنكون على ما يرام. لكن علينا أولاً الاستعداد للقضية.

وتسارع نبضها أكثر: «قضية»؟

- لقد تقدم محاميه للتو بدعوى لدى المحكمة وسيعقد القاضي جلسة مغلقة غداً في الثانية بعد الظهر.

صاحت رايني مرتعبة: «ماذا؟ تعنين أنه رفع عليّ دعوى»؟

- أنت والكاتبة بوني ريغلي ودار الوردة الحمراء.

- يا إلهي!

ارتفع حاجبا غرايس: «لا تنسي أنك تتعاملين مع آل سترلينغ فالاسم يهدّ الجبال لكن لا تقلقي فهو لن يفوز. على فكرة، من هو الشخص لدى مؤسسة بطاقات المعايدة العالمية الذي يمكن أن يدلي بشهادة لصالحك تفيد بأنك لم ترسمي السيد سترلينغ على أي من منتوجاتهم».

كان الطلب سهلاً فأجابت: «سول غولدبرغ».

أومأت المرأة الأخرى:

- أعرف سول... رجل طيب. حسناً لنبدأ بالأولويات. إذا استطعنا حمل أمك وأخيك على الحضور في خلال أربع وعشرين ساعة، فيجب أن نقوم بذلك فوراً. ستتحمل الدار نفقات رحلتهما.

- تستطيع أمي المجيء لكنني لا أعلم إذا كان بوسعي الاتصال بأخي حالياً.

رمقتها غرايس بنظرة مصممة: «حاولي، فمحامي السيد سترلينغ هو الأفضل وقد دبر لنا القضية على أمل أن يضبطنا في حالة عدم جهوزية لكننا سنبرهن له العكس».

قدّرت رايني تصميم المرأة الأخرى مع أنها لم تكن تعرف شيئاً عن غرايس كارلو.

- سأتصل بالشركة التي يعمل كريغ لحسابها لأرى ما إذا كان بإمكانهم العثور عليه. أمي تعرف الرقم.

- بما أنك ستتصلين بها، اطلبي منها أن تحضر تلك الصورة معها. اسمعي، قال دون إنك ترسمين خربشات أولية قبل أن تبدأي الرسم. أين هي رسوماتك الخاصة بالسيد سترلينغ؟

رمقت رايني غرايس بنظرة خجولة وقالت: «الرسوم القديمة مخزّنة في منزل والديّ».

- هل تملكين صوراً لها على اسطوانة؟

- لا بل الرسوم النهائية. الأسطوانات موجودة في شقتي.

- أفهم. أخبري أمك أن تحضر الرسوم أيضاً. ولدى عودتك إلى شقتك، أحرقي الرسوم الجديدة.

ودّت رايني البكاء على الرسوم التي نفذتها له في زي راعي البقر منذ ثلاثة أيام. إنها رسوم لن تبصر النور على أي غلاف آخر.

- استخدمي هاتفي ريثما أتحدث إلى سينتيا التي تحاول اقتفاء أثر بوني ريغلي. سأعود في غضون دقيقة لأعلمك بما يجري.

ما إن غادرت غرايس الغرفة حتى هرعت رايني إلى المكتب للاتصال بمنزلها. كانت الساعة الثامنة والربع هناك ولا بد أنّ والدها وهو طبيب أسنان، قد خرج إلى عيادته.

سيتعين عليه أن يطلب من شريكه الحلول مكانه ليتمكن من إيصال أمها إلى مطار دنفر مع الأشياء المطلوبة.

أعلنت غرايس بعد مرور عشر دقائق على رحيلها: «أخبار جيدة. ستحضر بوني ريغلي إلى مكتبنا في الصباح. كيف سارت الأمور معك»؟

- ستركب أمي الطائرة مساءً مع الأشياء التي نحتاجها. أما الشركة التي يعمل فيها كريغ فتعلم مكانه وستعاود الاتصال بوالدي الذي سيخابر مكتبك ليعلمنا بما يحصل.

- ممتاز. ماذا تودين أن تأكلي على الغداء؟ يقدمون طبق غولاش لذيذ مع الكيك بالجبنة لدى مطعم «دلي» في آخر الشارع.

- يبدو لذيذاً.

- حسناً.

انحنت غرايس إلى الأمام وشبكت أصابعها على المكتب موضحةً:

- سيحاول السيد والاس إثبات أن دار الوردة الحمراء خرقت القانون عمداً واستغلت صورة موكّله توخياً للمكاسب المادية من دون الحصول على إذنه. لقد تقدم بطلب لإحضار أرقام مبيعات تلك الكتب

ليظهر أن العائدات تصاعدت مع ظهور موكله على الأغلفة.

همست رايني وقد شعرت بالذنب أكثر فأكثر:

- إنها غلطتي. كان يجدر به ملاحقتي أنا فقط وليس الدار.

- نحن عائلة واحدة في الدار وندافع عنها وسنبرهن أنه خطأ غير مقصود. أسوأ ما قد يحدث هو منعنا من استغلال شكل السيد سترلينغ على مزيد من الأغلفة.

وأضافت: «هذا مؤسف، فمع أنه مسؤول عن البنى التحتية الجديدة، إلاّ أنّ ٩٩٪ من قرائنا لا يعرفون أن السيد باين سترلينغ موجود. جل ما يهمهم هو الرجل الجذاب على تلك الأغلفة».

أشاحت رايني نظراتها: «وهو كذلك».

- كما أنك الفنانة اللامعة التي أظهرته بشكل يقطع الأنفاس. تعد هذه الرواية من بين أول عشر روايات نشرتها الدار من حيث المبيعات، وذلك بفضلك أنت وبوني التي كتبت تلك القصة الرائعة أولاً. الدار محظوظة بانضمامكما إلى فريقها.

- شكراً وآمل أن تستمري في قولك ذلك عندما تنتهي القضية.

- لست قلقة. ستحررنا الحقيقة يا عزيزتي. لم لا تبدأين بإخباري بما حصل بدءاً من اللحظة التي اتصل فيها دون بك بشأن «عملية دمج في منهاتن»... وانتهاءً بشحنك اللوحة إلى نيويورك؟ لا تقلقي بشأن التواريخ فقد سبق أن زوّدني بما يلزم بهذا الخصوص.

شرحت لها رايني من دون مقدمات كيف نفذت العمل وكانت غرايس تقاطعها أحياناً لتطرح الأسئلة. حضر الغداء وانتهى وهما مستمرتان في الحديث. وعند الثالثة رن الهاتف في مكتب غرايس وكان المتصل والد رايني الذي أخبرها أن كرايغ سيصل إلى مطار كينيدي قبل منتصف الليل.

لمعت عينا غرايس للمستجدات وقالت: «سيكون أخوك أحد الشهود الأساسيين وسأكون جد مسرورة لقدومه. ستغدو الأمور أفضل

مما توقعت».

وهمست رايني: «إذا كنت ترين ذلك».

- بل هي الحقيقة. سنجتمع صباح غد في الثامنة والنصف في قاعة المحاضرات أسفل الرواق. سأعيد ما سيجري وأحضر والدتك وأخاك للإجابة على الأسئلة التي سيطرحها السيد والاس خلال الاستجواب. ستخضعين للاستجواب من قبل السيد والاس.

وعبست رايني: «ماذا تعنين»؟

- ينبئني حدسي بأنه سيريك صورة لرجل أو امرأة ما لم ترينها من قبل ثم سيطلب منك رسمها غيابياً.

- ما من مشكلة.

- بالطبع لا.

- ماذا سأرتدي؟

- الثياب التي ترتدينها مناسبة.

نهضت رايني من كرسيها: «أشكرك على مساعدتك ولن أتمكن أبداً من ردّ جميلك».

- إنه جزء من عملي.

- ما زلت ممتنة لك. أراك في الصباح.

في طريق عودتها إلى شقتها، توقفت رايني لشراء الطعام والأزهار قبل أن تهرع إلى البيت لتنظفه وتجهزه لاستضافة عائلتها.

وصلت أمها في السابعة مساءً وأخوها في الحادية عشرة، وقد أحضر معه كيساً للنوم فحمدت ربها. ستنام أمها في سريرها فيما تنام هي على الكنبة.

كانت مستعدة للتضحية بأي شيء مقابل جمع شملهم في ظروف مختلفة. لقد غدت فكرة تعرّضها للملاحقة القانونية من قبل بليونير من أسوأ الكوابيس التي عرفتها. وقبل أن يخلد الجميع إلى النوم، بحثت رايني بين كومة الصور عن الصورة التي سببت لها الكثير من المشاكل

وعندما عثرت عليها أخيراً وعرضتها على أخيها، تذكر الرجل من دون اسمه.

ـ كيف كان يبدو كريغ؟

ـ كان ضمن مجموعة من عشرين شخصاً وأذكر أنه كان ودوداً، مأخوذاً بكل ما يراه ومرتاحاً جداً في المياه.

ـ لا شيء آخر؟

همس أخوها: «تذكرت أمراً. عندما أقل أنواجاً في رحلة في القارب، أختار واحداً منهم أستطيع الاعتماد عليه في حالات الطوارئ وقد وقع اختياري عليه فمعظم الناس يرتعبون في النهر لكنه لم يفعل».

بعد سماعها شهادة كريغ، لم تعد رايني تستطيع الجمع بين الرجل الذي رسمته والرجل القادر على إلحاق الأذى بالآخرين.

لقد بذلت غرايس ما في وسعها لطمأنة رايني على حسن سير الأمور لكنها وجدت صعوبة في تصديق ذلك.

خلال الليل، انهارت بالبكاء لذا بدا من الطبيعي أيضاً أن تظهر بوني ريغلي في الصباح الباكر بوجه كئيب وعينين متورمتين.

كانت المرة الأولى التي تلتقيان فيها. وما إن رأت المرأتان بعضهما، حتى ذهبتا إلى الرواق للتحدث على انفراد.

في ذلك الوقت، كانت عقدة الذنب لدى رايني قد تفاقمت كثيراً. فلولا غلافها لما رُفعت الدعوى، ولما كان على المسكينة بوني أن تفسر كيف اخترعت الرواية ومن أين اشتقت أفكارها.

وبعد حين، استدعتهم غرايس إلى قاعة المؤتمرات ومرّ الصباح بسرعة وهي تملي عليهم ما يجب قوله. بعد تقديم الغداء، استقلوا سيارات أجرة وتوجهوا إلى المحكمة في برودواي.

عندما وصلت رايني مع عائلتها، رأت عدداً كبيراً من رجال الأمن متمركزين خارج المبنى وفوجئت بأنهم يتواجدون في الداخل بأعداد أكبر.

قادها بعض الحراس مع عائلتها إلى القاعة المتشودة حيث رأت المزيد من الحراس. ومع أنها لم تكن مقيدة إلاّ أنها شعرت وكأنها مجرمة. وعندما استقروا في الجهة الأمامية إلى يمين القاعة، بدأت تشعر بالغثيان.

دخلت غرايس مع سينتيا تافت، المحامية الأخرى. كانت نظراتهما هادئة وهما تتخذان مكانيهما على الطاولة المواجهة لرايني. ولكنها مع ذلك، لم تشعر بالارتياح.

وعندما نظرت إلى بوني، هزت الأخرى رأسها كما لو أنها ترفض تصديق ما يحصل.

لم تستطع رايني أيضاً استيعاب الأمر إذ ساد الأجواء شيء من اللاواقعية.

بالأمس، استيقظت من نومها سعيدة ومتحمسة ثم تلقت اتصالاً غيّر مجرى حياتها. وتملكها الألم فلم تلاحظ وصول الخصم حتى لفت كرايغ انتباهها إلى ذلك.

أدارت رأسها لترى رجلين بثياب سوداء، ووقع بصرها بعجز على الرجل الذي استرعى انتباهها بوسامته وحيويته كما لم يفعل أي رجل من قبل، فرسمته.

كان طويلاً ومتين البنية تماماً كما رأته في الصورة. يمشي برشاقة لا مبالية، بدت وكأنها إحدى السمات التي ولدت معه بالفطرة.

الجينات التي اجتمعت لتشكل رجل بوسامة باين سترلينغ مذهلة حقاً. كما أنّ الحيوية التي تنبعث منه تضفي عليه مزيداً من الجاذبية.

خافت أن يضبطها وهي تسترق النظر إليه فأشاحت بنظرها عنه. أذهلها أنّ هذا النوع من الأفكار ما زال يراودها عنه مع أنه سبب وجودهم في المحكمة الآن.

ـ ليقف الجميع.

أجفلت لسماع هذا الصوت القاسي فرفعت رايني رأسها لترى القاضي يدخل القاعة ويحتل مقعده:

- إن محكمة نيويورك لقضايا المطبوعات منعقدة الآن والقاضي جايمس فولكنر، قاضي مدينة نيويورك الرئيس يترأس الجلسة.

قاضي مدينة نيويورك الرئيس؟؟!!

شعرت رايني أن ساقيها ترتجفان قبل أن تسمع ذلك الصوت مجدداً:

- يمكنكم الجلوس!

* * *

٣ـ اللقاء . . . أخيراً

- قضية سترلينغ ضد منشورات الوردة الحمراء الرومنسية عرضت على المحكمة لأسباب طارئة تستدعي البت فيها وكل من يُستدعى للشهادة سيقسم اليمين. السيد درو والاس محامي المدعي سيبدأ بالمرافعة يليه السيدة كارلو، محامي الدفاع.

إن احتمال وجود مريض عقلياً داخل هذه الجدران لم يفارق مخيلة باين أبداً. وبعد ضربه لتلك المريضة في محاولة متأخرة للدفاع عن ديان، لم تعتره أي رغبة في النظر إلى وجه امرأة أخرى بنية ضربها.

لقد حانت هذه اللحظة في فترة قصيرة بعد الحادث. تبادل مع درو نظرة سريعة قبل أن ينهض محاميه قائلاً: «حضرة القاضي، لم يتقدم موكلي بدعوى طارئة من دون سبب. فمنذ ستة أشهر، كان هو وخطيبته يدخلان إلى منزل والديه عندما أطلقت امرأة مختلة النار عليهما. تتنقل خطيبته اليوم في كرسي متحرك وقد لا تتمكّن من المشي ثانية. إلى جانب هذا الحادث المأساوي، حصلت العديد من الحوادث المريبة في حياة موكلي حيث تم استدعاء الشرطة وإيقاف أناس وملاحقتهم قضائياً. المسألة برمتها باتت علنية وقد رويتها للمحكمة. منذ يومين، اكتشف موكلي أنه مصوّر على غلاف إحدى روايات دار الوردة الحمراء الرومنسية، وهي تحت عنوان: «عملية دمج في مانهاتن» وسأدرجها هنا دليلاً حسياً. تم تنفيذ الرسوم من دون علمه أو موافقته».

وناولها إلى الحاجب الذي أعطاها للقاضي ثم استكمل المرافعة:

- يبدو أن ثمانية أغلفة مماثلة قد نفذت وتمت كلها من دون سابق

علم أو إذن. كما تتبينون من عنوان هذه القصة تحديداً، فهي تجري في نيويورك وتتحدث عن بليونير نيويوركي تعرّض لحادث في كانيون لاندز في الغرب الأميركي. خلال مطالعة الرواية، تنبّه موكلي إلى مدى تشابه الأحداث مع حياته. لعله لم يكن يوماً ضحية اعتداء لكن سبق أن دفع موكلي وأحباؤه ثمناً باهظاً نتيجة تصرفات بعض الأشخاص المختلين في مجتمعنا. لقد تقدم موكلي بطلب عاجل لتحديد ما إذا كانت القصة فنية وحسب أم أن ثمة شيء غامض وراء تلك الصدف التي لا تُعقَل. إنه يريد معالجة الوضع قبل أن يتعرض أي كان للأذى أو للقتل. وعند هذا الحد، أختم مرافعتي وأحيلها إلى السيدة كارلو.

أومأ باين إلى درو برضى قبل أن تتقدّم محامية الدفاع: «حضرة القاضي. باسمي وباسم الحضور أعبّر عن عمق أسفي لألم السيد سترلينغ ومعاناته. كان على الدائرة القانونية أن تلحظ المشكلة منذ أن رأت الرسم الأول المعد لقصة «النجم الغازي إلى كوكبنا». لاحظت آنذاك شبهاً بالسيد سترلينغ من حيث بنية الوجه والجسم لكن البطل كان مستوحىً في المستقبل. كان شعره أحمر وعيناه بنيتين. افترضت أنها مصادفة ولن تكون الأولى التي يشبه فيها البطل أو البطلة شخصاً حقيقياً. لدى ظهور الرسم الثاني الخاص برواية: «أمير أحلامها»، لاحظت بعض الشبه مع أن عيني البطل كانتا سوداوين وشعره أسود لكنني مع ذلك، لم أشعر بالقلق الكافي للإشارة إلى الأمر... حتى رسمت الآنسة بينيت اللوحة الخاصة بـ «عملية دمج في منهاتن». وعندئذ، تبينت فعلاً أن البطل يمثل السيد باين سترلينغ. وهنا لفتَ انتباه رئيس المؤسسة السيد فينوير، الذي طمأنني إذ لم تطرأ أي مشاكل مع سائر الأغلفة. ومع أنني أتفهم السيد سترلينغ وأتعاطف معه، ولكن بصفتي محامي الدفاع عن دار الوردة الحمراء، أطمئن المحكمة والسيد سترلينغ إلى أنّ ما من مخلّ في هذه القاعة كما سيتضح لكم من الشهادات. واحتراماً لوقت المحكمة، دونت لائحة بالشهود حسب ترتيب ظهورهم في المحكمة كما زوّدت

السيد والاس بلائحة مماثلة تتضمن العناوين، وأرقام الهاتف ومواصفات العمل.

أومأ القاضي معلناً: «إذاً، ستستكمل هذه الجلسة. سيدة فار، أرجوك اعتلي منصة الشهود».

لاحظ باين أن مجموعة لا بأس بها من الخصوم حاضرة ما يعني أن المحامية حضرت مهيأة.

بدأت السيدة كارلو باستجوابها: «سيدة فار. اذكري اسمك الكامل، وطبيعة عملك».

ـ اسمي مارغريت فار، وأنا رئيسة تحرير القسم الرومنسي لدى دار منشورات الوردة الحمراء.

ـ كم من الوقت مضى عليك في العمل؟

ـ خمسة عشر سنة.

ـ أخبرينا عن علاقتك ببوني ريغلي كاتبة الرواية، وزوّدي المحكمة بانطباع عن الدعوى.

ـ وصلتني أول قصة لبوني منذ عشر سنوات. كان كتاباً رائعاً وخابرتها لأقول لها إننا سننشرها. من حينها، كتبت بوني سبع وعشرين رواية، أما رواية «عملية دمج في منهاتن» فكانت الرقم أربع وعشرين. وقد اقترحت على بوني أن تكتب قصة عن الأثرياء في عالمنا اليوم فجاءت قصة «عملية دمج في مانهاتن».

ـ شكراً سيدة فار. تستطيعين النزول. أود استدعاء بوني ريغلي إلى المنصّة.

بدت الشاهدة التالية في أواخر الخمسينات من عمرها ما أدهش باين الذي لم يستطع أن يتصورها كمختلة، ولكنه افترض أن السن لا علاقة لها بالاضطرابات العقلية.

ـ سيدة ريغلي! أخبري المحكمة أين تسكنين؟

ـ سبوكان في واشنطن.

- هل الكتابة مهنتك الوحيدة؟

- لا، فأنا أعمل كمدرّسة لغة إسبانية بدوام كامل وأكتب في أوقات الفراغ.

- كم مضى على عملك كمدرّسة؟

- ست وعشرون سنة.

- ومنذ متى وأنت تكتبين؟

- منذ سن الحادية عشرة لكنني لم أنشر شيئاً إلا منذ عشر سنوات.

- أخبري المحكمة كيف استمديت أفكارك لهذه الرواية!

- عندما سألتني مارغريت ما إذا كنت أود تأليف كتاب عن متموّل كبير، قررت أن يكون بليونيراً لأن أصحاب الملايين باتوا معروفين جداً في هذه الأيام. وبما أنني كتبت العديد من القصص عن أبطال أوروبيين من ذوي الملايين وزوّدتهم بجذور تاريخية، ظننت أنني أستطيع تصوّر أميركي ذا جذور أرستقراطية بريطانية. رجل جمعت عائلته ثروة من الممتلكات والسفن في الساحل الشرقي وأنشأت عالماً مصرفياً.

«وقررت أن يصادف مشكلة لا يمكن لماله معالجتها. تصوّرت أنه إذا تبيّن أنه مصاب بسرطان في الدم، فماذا سيحصل لو قرر السفر مدة أسبوعين بعيداً عن خطيبته وعن عائلته لتنظيم أفكاره قبل أن يخبرهم بما اكتشفه خلال فحص روتيني لوضعه الصحي؟ سيعتقدون أنه سافر في إحدى مهماته. وكما يفيد الملخص، يتعرّض البطل لحادث في الكانيون لاندز ويُنقَل إلى مستشفى لاس فيغاس حيث تكتشف معالجته الفيزيائية سرّه وتقع في حبه. وقد صوّرتها طبيبة شابة جادة في عملها ومتفانية، لا تملك الوقت للرجال. وحين تدرك أن البطل يحتاج عملية زرع للنخاع الشوكي، تطلب من كل طاقم العمل وهبه دماً على أمل العثور على واهب.

«ويتّضح أنها تستطيع أن تتبرع له، فتتم الجراحة ولا يدرك حتى عودته إلى نيويورك أنها أنقذت حياته. عندما يواجهها بالحقيقة، تخبره

أنها فعلت ذلك لأنها تحبه لكنها لم تشأ أن يعلم الحقيقة لأنه مرتبط بفتاة أخرى. فيعترف لها بأنه كان مغرماً بها قبل أن تجرى الجراحة وأنه سيفسخ خطوبته ثم يعرض عليها الزواج. إنها عملية دمج لا تستطيع رفضها...».

- شكراً لك آنسة ريغلي. سيد فلت؟ هلا اعتليت المنصة أرجوك؟

فيما أقسم الشاهد الثالث اليمين، مال باين نحو درو: «لدى استجوابك الكاتبة، اسألها عن سبب اختيارها للجذور الإنكليزية الأرستقراطية وكيف جمعت معلوماتها عن المواقع الأثرية، ولما ارتأت إصابته سرطان الدم؟».

راح درو يسجل ملاحظاته ثم أومأ بالإيجاب.

- سيد فلت؟ منذ متى ترأس الدائرة الفنية لدى منشورات الوردة الحمراء؟

- اثنتا عشرة سنة.

- أخبرنا عن عملك، منذ اللحظة التي استلمت فيها رواية: دمج في مانهاتن.

- فور فتح المخطوطة استعداداً للنشر، تطلب الدائرة الفنية من الكاتب وضع وصف للبطل والبطلة، وملخص سريع لمشاهد عدة قد توحي بالغلاف. عندما نتسلّم تلك الأوراق، نتصل بأحد الفنانين المتعاقدين معنا الذين ينفذون رسوماً زيتية أصلية لأغلفة الوردة الحمراء. ثم نرسل له معلومات لمساعدته على تنفيذ رسم يناسب الرواية ويرضي الكاتب، كما نرسل له أيضاً نسخة عن المخطوطة ليقرأها.

«رواية «عملية دمج في مانهاتن» لم تشذ عن القاعدة إذ اتصلت بلورين بينيت التي وافقت على البدء بها. أرسل لها قسمنا كافة الأوراق والنسخ ونفذت الرسم ثم أرسلته بالبريد ليلاً إلى مكتبنا.

- شكراً لك سيد فلت. يمكنك النزول. هلا تفضل السيد غولدبرغ إلى المنصة.

لم يسمع حتى الآن ما يكدره لكنه يود تقطيع الفنانة إرباً بيديه العاريتين.

ـ سيد غولدبرغ. أخبر المحكمة عن طبيعة عملك.

ـ أنا نائب رئيس شركة بطاقات المعايدة العالمية في نيويورك.

ـ وكم مضى على وجودك في تلك الشركة؟

ـ تسع سنوات.

ـ هل يعمل كل موظفيك في الشركة؟

ـ لا، فنحن نتعاقد مع الأدباء والفنانين لنخرج بطاقاتنا.

ـ وهل الآنسة لورين بينيت من ضمن هؤلاء الفنانين؟

ـ نعم.

ـ أخبرنا عن طبيعة عملها.

ـ نرسل لها الكلمات وهي تنفذ العمل الفني.

ـ هل تقوم برسم الوجوه؟

ـ لا. يقتصر عملها على رسم الطبيعة، الزهور، الغابات، الجسور، الكلاب، القطط وهذا النوع من الأمور.

ـ وكم مضى على عملها لديك؟

ـ ثلاث سنوات.

ـ شكراً سيد غولدبرغ. هذا كل شيء. هلاّ تفضل الآنسة بينيت إلى المنصة؟

أجاب باين على بعض الأسئلة التي كتبها له درو ثم رفع رأسه. عندئذٍ، لمح المرأة بشعرها الذهبي الأشقر تشق طريقها فشعر بنبضات قلبه تتسارع.

ـ لقد رأيت هذا الوجه من قبل درو!

ـ أين؟

هز رأسه القاتم: «لا أعلم».

كان وجهها طفولياً وجذاباً كسائر تفاصيل جسدها.

وفيما كان يحدّق إليها، راح يعتصر دماغه محاولاً التذكر.

ـ آنسة بينيت؟ أرجوك أخبري المحكمة عن مكان سكنك؟

ـ في مانهاتن.

ـ وهل لطالما أقمت في نيويورك؟

ـ لا. ولدت ونشأت في كولورادو وانتقلت إلى هنا منذ أربعة أشهر فقط.

«كولورادو!»

لقد سبق لباين أن مارس التزلج هناك لكن منذ سنوات. لو أنها تقطن في نيويورك منذ شباط الماضي فقط، فلا بد أنها نفذت الرسوم كلها خلال إقامتها في كولورادو.

إذاً، كيف عرفت تفاصيل مكتبه؟ لقد أدرك أنها لم تدخل مكتبه أبداً، أقله في حضوره وإلا لتذكر حتماً.

ـ هل سبق أن زرت مدينة نيويورك قبل انتقالك إليها؟

ـ لا.

ـ ومنذ متى تعملين لحساب دار الوردة الحمراء؟

ـ أربع سنوات.

ـ نعلم أنك تعملين لحساب شركة بطاقات المعايدة العالمية أيضاً. لكن قبل أن تباشري عملك، ماذا كنت تفعلين؟ زودينا بملخص عن سيرتك الذاتية.

ـ تخرّجت من جامعة كولورادو ونلت شهادة في الفنون الجميلة. وقد درّست الفنون في ثانوية في كولورادو.

ـ وكم سنة امتهنت التدريس؟

ـ ست سنوات.

لم تكن الآنسة بينيت كبيرة بما يكفي لتدرّس زمرة طلاب أشقياء في الثانوية هذه المدة الطويلة. إنهم فتية طائشون وبوجود امرأة بهذه الجاذبية والقوام الجميل، يستطيع تصور الرسوم التي يصوّرونها لها في مخيلتهم.

إنها رسوم لن تعلم بها أبداً.

ـ هلا أخبرت المحكمة كيف تتحضرين لرسم غلاف لكتاب؟

ـ فور وصول الأوراق المتعلقة بالقصة، أقرأها بتفاصيلها وخصوصاً موضوع القصة. بعدئذٍ، أقرأ القصة كلها ويتطلب الأمر أيام لتتبلور شخصيات القصة في ذهني حيث أبحث في القصة عن تفاصيل تساعدني في رسم المشهد. أستطيع أحياناً تصور البطل أو البطلة في ذهني وفي هذه الحالة، أبدأ بوضع خربشاتي على الورق. في أحيان أخرى، أبحث بين العارضين حتى أرى واحداً يجسد رؤياي للشخصية المعينة. كل يوم أرى وجوهاً جميلة، مثيرة للاهتمام ومذهلة بين الحشود أو في صورة وقد يحدث أن يسكنني وجه ما ويرفض التخلي عني. قد تكون بنية عظيمة أو بشرة سمراء ناعمة أو خطوط الخبرة المحيطة بفم مغر، وعينين سوداوين ثاقبتين. أجد نفسي أرسم هذا الوجه لأسابيعَ أو لأشهر حتى ينتهي بي الأمر إلى تصويره على لوحات.

ـ أخبرينا بما حصل عندما رسمت غلاف رواية «عملية دمج في مانهاتن».

كانت نظرة باين مركزة على ملامحها الكلاسيكية فلاحظ تغيراً سريعاً فيها، وشعر بتوتر في شكلها عندما ذكرت المحامية اسم الرواية.

ـ عندما قرأت الرواية، أدركت على الفور من سيكون الرجل على غلافها. لقد سبق واستخدمته على سبعة أغلفة أخرى كبطل أميركي معاصر يمثل إحدى القوى في عالمنا المحسوس. بدا وكأن بوني ريفلي كتبت تلك الرواية له. إن التلاحم بين الكلمات والفن يغدو تجربة روحانية. هكذا كان الأمر مع هذه الرواية.

ـ وهل استخدمت عارضاً؟

ـ لا. فلقد سبق ورأيت الرجل في صورة بينما كنت أساعد أمي على تنظيف غرفة أخي.

ـ وهل كنت تعلمين من هو؟

ـ لا، ولكنه يتمتع بروح رجل يستطيع تحقيق أي شيء، وهذا ما كان ينقص غلاف تلك الرواية لجعلها نابضة بالحياة. تخيّلوا القارئ واقعاً في غرام هذا الرجل الاستثنائي الذي أسبغت عليه الطبيعة نعماً رائعة ليكتشف أنه يموت نتيجة مرض يعجز عن إيقافه.

وساد الصمت في القاعة، صمت بات ملموساً لدى باين.

ـ شكراً آنسة بينيت. سيدة آلن ببنيت، تقدمي أرجوك.

أدار درو رأسه محدقاً إلى باين بتعبير ذاهل ولم يكن محاميه الوحيد الذي أخذ بسحرها.

ـ سيدة بينيت؟ أرجوك أخبري المحكمة من تكونين وأين تقيمين.

ـ أنا والدة رايني. نقيم أنا وزوجي في كولورادو.

ـ هل تعملين؟

ـ أنا ربة منزل وهو أصعب عمل على حد علمي.

غطى باين وجهه بيده لإخفاء ابتسامته.

ـ ماذا يعمل زوجك لكسب رزقه؟

ـ إنه طبيب أسنان.

ـ هل لديك أكثر من ابنة؟

ـ أجل، ابن، يدعى كريغ.

ـ وكم عمره؟

ـ إنه في الخامسة والعشرين.

ـ وابنتك؟

ـ في السابعة والعشرين.

ماذا؟؟ لم يسع باين تصديق ذلك.

ـ سمعت ابنتك تشهد بأنها رأت رجلاً في صورة وهو الرجل نفسه الذي انتهى على غلاف ثماني روايات. هلا أطلعت المحكمة من فضلك على تفاصيل ذلك النهار؟

ـ أجل. حضرت رايني إلى المنزل لمساعدتي في ترتيب وتنظيف غرفة

نوم كريغ، فهو فوضوي جداً. وفيما كنا ننظف صناديق يضع فيها تذكاراته، قررنا فصل مقتنياته ووضعها في سلال منفصلة ليتم تخزينها. عثرت رايني على تلك الصور التي جمعها على مدى سنوات أثناء رحلاته في نهر كولورادو.

وتساءل باين هل رأى وجهها هناك...

وتابعت الأم: «وفيما كانت تضعها في إحدى السلال قالت لي: «ماما، عليك أن تري هذا الرجل الاستثنائي في هذه الصورة». نظرت إلى حيث كانت تشير وأقريت بأنه كذلك فعلاً لكنني أعرف ابنتي لذا أدركت أنها ترى الأمور الكامنة وراء المظاهر أيضاً وهذا ما يجعلها فنانة مميزة. لقد درست الصورة لوقت أطول ثم وضعتها جانباً مع البقية. لم أسمعها تذكره ثانية كما لم تدنُ أبداً من خزانة كريغ مجدداً. في الحقيقة نحن لا نود هذا الشرف!»

وبالرغم من جدية الوضع، ضحك باين لتلك الملاحظة ثم نظر إلى درو الذي كانت شفتاه ترتعشان بابتسامة.

ـ شكراً لك سيدة بينيت. يمكنك الجلوس. لدينا شاهد آخر، حضرة القاضي. هلا تفضلت سيد بينيت إلى المنصة.

كان ذلك الدليل الأشقر الذي قضى معه باين وقتاً ممتعاً منذ صيفين، وهو آخر شخص توقع رؤيته في هذه القاعة. لكن ها هو يقترب من منصة الشهود بخطوات رياضية.

عندما استدار، وجد باين نفسه ينظر إلى نسخة ذكورية عن الآنسة رايني ببنيت فعرف الجواب. لم يسع باين أن يتصور أخاً وأختاً جذابين أكثر منهما.

لسوء الحظ، كان كريغ بينيت يفتقر اليوم إلى ابتسامته العريضة. وقد ارتدى بذلة عوضاً عن ملابس الرياضة وبدا أكبر سناً وأقل وداً وهو يشق طريقه ليجلس.

ـ سيد بنيت؟ أرجوك أخبر المحكمة أين تقيم وماذا تعمل لكسب

عيشك.

ـ عندما أكون في كولورادو، أقطن مع والدي. وخلال الصيف، أعيش في لاس فيغاس أو قرب ضفاف نهر كولورادو حيث أعمل كدليل للرحلات الاستكشافية.

ـ أخبر المحكمة عن طبيعة عملك.

ـ أنا دليل للناس الذين يودون القيام برحلة في نهر الكولورادو.

ـ وكم يبلغ عدد الرحلات التي تقوم بها كل صيف؟

ـ العشرات.

ـ هل ترافق أفراداً أم مجموعات؟

ـ يمكنني مرافقة أربعة أشخاص على الأقل وعشرين كحد أقصى.

ـ هل ترى أحداً في هذه القاعة ممن أخذتهم في جولة في الكولورادو معك؟

ـ أجل، أمي وأختي والرجل الجالس هناك.

وأومأ باتجاه باين فسألته المحامية: «وهل تعرف اسمه؟»

ـ أعرفه الآن. في ذلك الوقت، كان يستعمل اسماً آخر لا أذكره، اسماً شبيهاً بفنس أو فانس.

همس باين لدرو: «فنس!»

ـ هل تذكر أنك التقطت صورة له.

ـ أنا التقط دائماً صورة لمجموعتي حين نجتاز النهر.

قاطعته السيدة كارلو قائلة: «حضرة القاضي، لدي تلك الصورة وأود إدراجها كدليل».

شاهد باين الحاجب يناولها إلى القاضي الذي تمعن فيها للحظة.

واستكمل المحامي الاستجواب: «سيد بينيت؟ هل سبق أن ناقشت أمر هذا الرجل مع شقيقتك؟»

ـ أبداً.

ـ هل حدثتك يوماً عنه؟

- لا.

- هل كنت تعلم أنها ترسمه غيابياً؟

- لا.

- هل قرأت يوماً أياً من الروايات الرومنسية التي تحمل رسومها على الأغلفة.

- لا أقرأ قصصاً رومنسية.

إنها عادة الرجال.

- شكراً سيد بينيت. يمكنك النزول. هذا كل ما لدي حالياً، حضرة القاضي.

تحوّلت نظرات القاضي إلى درو.

- سيد والاس؟ هل تود استجواب الشهود؟

- أجل حضرة القاضي.

- هل لي أن أذكر الشهود بأنكم جميعاً تحت القسم. تفضل سيد والاس.

- هلاّ تفضلت السيدة ريغلي مجدداً من فضلك؟

وما إن استقرت المرأة العجوز حتى قال: «كم مرة زرت مدينة نيويورك؟».

- إنها المرة الأولى.

- موكلي يود أن يعرف سبب اختيارك للجذور الملكية البريطانية والساحل الشرقي ولما القطاع المصرفي؟

- أنا عالمة جينات. قمت بأبحاث عن معظم أجدادي الذين أتوا من انكلترا. وعندما ينقب المرء في تلك الجذور البريطانية العتيقة، يعثر على معلومات مذهلة تتعلق بعائلات متحدرة من ملوك، ولوردات، ونبلاء يجمعهم التوق إلى بناء ثروات جديدة في أميركا. وكلما عثرت على معلومة من هذا النوع، أحتفظ بها في ملف لأستوحي منه في كتاباتي. كل الوافدين الأغنياء من بريطانيا مارسوا أعمالاً مصرفية أو عملوا في قطاع

النقل البحري، بغية الوصول إلى شواطئنا، كما كان شائعاً شراء أراضٍ شاسعة على الساحل الشرقي.

همس درو: «حسناً. عندما ملأت تلك الأوراق، هل اقترحت على الآنسة بينيت وضع صورة لسفينة ولمنارة على جدران مكتب البطل؟»

- لا.

- هلا شرحت لي لما أدخلت مشهداً حيث يعثر فيه البطل على مدفن قديم يتم اعتباره موقعاً أثرياً رسمياً؟

- نعم. عندما وصل المكتشف فرونتوناك إلى الساحل الشرقي في رحلة استكشافية لصالح ملك فرنسا، اكتشف أنها أرض مليئة بعظام مئات الآلاف من الرجال والنساء والأولاد الذين قضوا في معارك إبادة قبل وصول البيض بسنوات طويلة. ولاية نيويورك هي فعلاً أرض غنية بالآثار وغالباً ما يعثر مزارع ما على بقايا أجسام مكوّمة وآثار الأسلحة التي اخترقتها لا تزال على عظامهم. في روايتي، يرأس بطلي مؤسسة تعنى بالأرض لكنه رجل يحترم السكان الأصليين لهذا جعلته يترأس جمعية للمحافظة على التراث والآثار المدفونة والهياكل الموجودة في نيويورك.

- هل كنت تعرفين باين سترلينغ عندما كتبت الرواية؟

- لم أكن أملك أي فكرة عنه حتى البارحة عندما تلقيت اتصالاً من مكتب المحاماة ومن السيدة كارلو.

- سؤال أخير. لما سرطان الدم؟

- منذ سنوات، توفيت ابنتنا من جراء سرطان في الدم وقد عجزنا أنا وزوجي عن معالجة الوضع. وهذا ما خطر في بالي عندما كنت أفكر في نوع المرض الذي يصاب به بطلي.

- شكراً سيدة ريغلي. هلا تتفضل الآنسة بينيت إلى المنصة مجدداً؟

وفيما كان باين يحلّل إجابات السيدة ريغلي اتجهت تلك الفنانة الجميلة التي ترتدي تنورة وبلوزة أظهرتا جمالها إلى المنصة وجلست.

ـ آنسة بينيت، لقد نفذت سبع أغلفة مع صورة هذا الرجل. لماذا؟

ـ تملك الدار تسعة أقسام من الكتب ولكل قسم منها قراء مختلفون. إذا كان الوجه شعبياً فهو يستخدم أكثر من مرة لأنه يزيد المبيعات. وكلما يظهر وجه هذا الرجل على غلاف ما، ترتفع المبيعات. لذا، طلب مني تنفيذ المزيد من الصور وقد علمت أن رواية «عملية دمج في مانهاتن» حققت أكبر نسبة مبيعات حالياً.

ـ لما وضعت رسماً لسفينة على جدار مكتب البطل؟

ـ بدا لي منطقياً أن يضع رجل عبر أجداده المحيط وبنوا أمبراطورية من السفن، صورة لسفينة تذكّره بميدانه وبمدى حبّه للبحر.

ـ وكيف حصل أن رسمت تلك السفينة بالتحديد؟

ـ لقد تحريت لمعرفة نوع السفن في الزمن الذي ذكرته السيدة ريغلي في الرواية.

ـ ولمَ المنارة أيضاً؟

ـ أنا متأثرة بالفنان توماس ماكنايث الذي رسم لوحة سوريالية لمنارة في نانتوكت وأنا أعشق تلك اللوحة...

كان باين يحب تلك اللوحة أيضاً.

وتابعت تقول: «بينما كنت أعمل على الرسم، وجدت نفسي أرسم منارة بعد أن أنهيت السفينة».

ـ أوضحي لنا سبب رسم كلب في الصورة على مكتب البطل.

ـ في رواية السيدة ريغلي، وحين يكتشف البطل أنه يموت بسبب سرطان في الدم يستعيد صوراً من ماضيه، وإحداها صورة لنفسه وهو يجري على الشاطىء مع كلبه عندما كان صبياً. هذا البطل هو مستوحد بطبيعته، ومن الواضح أن كلبه كان يعني له الكثير. لهذا رسمته.

ـ وهل ذكرت السيدة ريغلي شيئاً عن فصيلته؟

ـ لا.

ـ ولم اخترت البولدوغ إذن؟

ـ أملك منذ سنوات كلباً انكليزياً من فصيلة البولدوغ يدعى ونستون تيمناً بونستون تشرشل. في الوقت الحاضر، يقيم الكلب مع والدتي حتى أتمكّن من إيجاد مكان يسمح باقتناء الحيوانات الأليفة. وفيما كنت أنفذ الرسم للرواية، جلس ونستون على أحد كراسي المطبخ يراقبني. كان جميلاً جداً لذا وضعت صورته في إطار من دون التفكير بذلك.

لا يعقل! إنه أمر لا يعقل... هز باين برأسه من الدهشة.

ـ آنسة بينيت، قلت إنك لم تزوري نيويورك أبداً قبل انتقالك إليها كما ذكرت أيضاً أنك ارتدت معهداً في إيطاليا. هل تضمنت رحلتك استراحة في نيويورك؟

ـ لا. لقد أخذت طائرة تتجه مباشرة من دنفر إلى فرانكفورت في ألمانيا ومنها إلى دنفر بعد انتهاء الدراسة. يمكنك الاتصال بدائرة الفنون في مقاطعة كولورادو للتحقق مما أقول.

ـ شكراً لك. هلا أخبرت المحكمة عن مكان اللوحات الثماني التي تحمل أوجه الشبه بموكلي.

ـ لقد اشترى خمسة كتّاب لوحات كتبهم مني وأنا أملك الثلاث لوحات الباقية وهي معلّقة في شقتي.

ـ وفقاً لشهادتك، لقد رأيت موكلي لبضع دقائق في صورة ثم رسمته نقلاً عن ذاكرتك.

ـ نعم.

ـ لو سمح حضرة القاضي، أريد من الحاجب أن يعطي هذا الدفتر والقلم إلى الشاهدة. وأود من القاضي أن يعينني على انتقاء شخص آخر من الصورة، الدليل رقم اثنين! أريد أن أريها للشاهدة لتدرسها لبعض الوقت ثم أطلب منها رسم هذا الشخص غيابياً.

همس باين جانبياً لدرو: «إذا استطاعت الآنسة رسمها جيداً، فلن

تكون المسألة حادثة اعتداء».

وتمتم درو: «أود ذلك».

مضت خمس بل عشر دقائق فيما عم صمت جليدي في القاعة بانتظار اتمام رسمها. تأمل باين وجهها وجسدها. كان تركيزها ملفتاً تماماً كأنوثتها.

وأخيراً، نظرت إلى القاضي وناولته الدفتر فتأمله وقارنه بالصورة قائلاً:

ـ أنت لا تتمتعين فقط بذاكرة قوية آنسة بينيت بل أنت فنانة موهوبة.

ـ شكراً.

أومأ للحاجب بأخذ الرسوم إلى درو واضطر باين إلى التريث بنفاد صبر حتى يتمكن من تفحص الرسمين بنفسه.

ـ يا الله! إنه مايك. لقد رسمته بشكل مطابق للواقع.

استدار درو إلى القاضي معلناً: «موهبتها استثنائية! ما من أسئلة أخرى حضرة القاضي».

ـ سيدة كارلو؟ هل تودين ختم مرافعتك الآن؟

ـ أجل حضرة القاضي. أعتقد أن الوقائع تتكلم عن نفسها. وفي المستقبل، ستطلب دار الوردة الحمراء من كل فنان استعمال العارضين كنماذج ولا داعي للقول إن تشابه السيد سترلينغ لن يظهر أبداً على أي غلاف آخر لمنشوراتنا. طلبت من الآنسة بينيت إحضار كل الرسوم والاسطوانات التي تحوي تشابهاً مع السيد سترلينغ إلى هذه القاعة. ويمكننا تسليمها إليه أو يمكن للدار إتلافها إذا ارتأت المحكمة ذلك فهي لا تحمل أيّ قيمة باستثناء الغلاف الأخير الذي ربح الجائزة الأولى من بين كل الروايات الرومنسية المطبوعة في الولايات المتحدة. كما أن السيدة ريغلي ربحت الجائزة الأولى أيضاً على روايتها الرومنسية وستُكرَّم السيدتان في حفل هذا الخريف. في ظل هذه الظروف، ستغضّان

النظر عن الجائزتين لإعفاء السيد سترلينغ من أي دعاية غير ضرورية. ستبلغ الدار اللجنة بضرورة اختيار فائزين آخرين. أما فيما يختص بالكتب المطبوعة والتي نشرت في المكتبات، فسيكون من المستحيل تحديد عدد القراء الذين عرفوا هوية الرجل على الغلاف.

وصمتت لحظة ثم أضافت: «حضرة القاضي؟ هل يمكننا أن نسأل كيف اكتشف السيد سترلينغ شبهه بالرجل على غلاف رواية «عملية دمج في مانهاتن»؟

نظر القاضي إلى درو وسأل بدوره: «سيد والاس»؟

أومأ باين عندما استدار درو إليه طالباً الإذن:

ـ ابنة اخته تقرأ تلك الروايات قد لاحظت التشابه وكذلك الخادمة التي تقرأ تلك الروايات أيضاً.

ابتسمت السيدة كارلو: «شكراً حضرة القاضي».

ونظر القاضي إلى درو: «سيد والاس؟ هل أنت مستعد لختم مرافعتك»؟

ـ أجل حضرة القاضي. إن الإفادات التي قدّمها الدفاع أزالت أي شك بشأن خاطر الاعتداء التي كانت تشكل هاجساً مرعباً لدى موكلي. ويكتفي موكلي بتطمين السيدة كارلو إلى أن رسمه لن يستخدم مجدداً على أي غلاف لدى دار الوردة الحمراء، لذا يعتبر أن هذا الخوف قد أزيل. كما نرغب أنا وموكلي شكر المحكمة لعقدها الجلسة في وقت قياسي، وأرغب أيضاً بتهنئة الخصم على دفاعه الرائع الذي أعده في هذه المهلة القصيرة.

بعدما جلس درو، رفع القاضي نظاراته معلناً: «أنا أيضاً أود تهنئة الطرفين لانتهاجهما أسلوباً محترفاً. إنها قضية غير اعتيادية».

وسمع باين فجأة صوتاً يصدر من الجهة الأخرى من الغرفة.

ـ حضرة القاضي؟

ـ نعم، آنسة بينيت؟؟

- هل يمكنني قول شيء؟؟

- تفضلي.

- لو كنت مكان السيد سترلينغ، لتقدمت بدعوى تماماً كما فعل، أملاً بتفادي مأساة أخرى لكن الدار ليست ملامة ولا حتى بوني ريغلي بل أنا. أنا هي التي رسمته من دون إذنه وجلبت له المزيد من الأسى من دون قصد.

ارتجف صوتها وهي تستطرد: «الجهل ليس عذراً فأنا الطرف المذنب وأشعر بالسوء لذلك ولا أعلم كيف أعوّض عليه. إذا تضمن الأمر تعويضاً مادياً فسأتحمل أنا وحدي مسؤوليته ولا أحد سواي».

- شكراً آنسة بينيت. أعتقد أنك تعلمت درساً مفيداً وضرورياً في المراحل الأولى من مهنتك اللامعة. إن موهبة ثمينة كموهبتك يجب أن تستعمل بحذر في المستقبل كما اكتشفت. سمه قدراً أو صدفة لكن صودف أنك رسمت رجلاً جعله نجاحه الباهر ضحية أسوأ عناصر مجتمعنا.

«من المؤسف أن الدار لم تلاحظ المشكلة في الوقت المناسب لاستدراكها لكن السيدة كارلو طمأنت المحكمة إلى أنّ الدار ستطلب من فنانيها رسم وجه عارضين من الآن فصاعداً، وهي بادرة حكيمة ستردع أي حوادث غير مرغوب فيها».

«أما بالنسبة للتفاصيل المذكورة في رواية السيدة ريغلي الخيالية والتي تتشابه مع حياة السيد سترلينغ لدرجة رهيبة فلقد أظهرت إفادتها أنها صدف يستحيل شرحها».

«باختصار، استمعت المحكمة إلى الشهود ولم تعثر على أي أدلة تشير إلى وجود سوء نية وخصوصاً لجهة المدعى عليهن الآنسة بينيت، السيدة ريغلي ودار الوردة الحمراء للمنشورات الرومنسية.

«تستطيع الجهتان الاجتماع معاً لتقرير مصير الرسوم، والاسطوانات، واللوحات والكتب في طور الطبع أو تلك التي تنتظر

ترجمتها لتوزيعها في الأسواق الأجنبية...».

وطرق القاضي على المنصة معلناً: «انتهت القضية».

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ صدفة غريبة

شعرت رايني بارتياح شديد فور خروج القاضي من القاعة فقفزت عن الكرسي لمعانقة غرايس كارلو. واقتربت منها المحامية بقامتها القصيرة وأعلنت: «سارت الأمور كما توقعت تماماً عزيزتي».

ـ وذلك بفضلك أنت وحدك.

زفرت رايني تلك الكلمات بصوت متقطع وقد شعرت بموجة عارمة من الارتياح. انضمّت بوني إليهما في الوقت المناسب وهي تعلن: «رايني محقة، فمن دون دعمك، كنت لأصاب بنوبة قلبية قبل إقفال السماعة».

ابتسمت غرايس. «انتهى الأمر وقد كان درساً مفيداً للدار».

أومأت رايني ورفعت حاجبيها قائلة: «كما أننا تعلمنا أمراً، أليس كذلك»؟

ونظرت كل من رايني وبوني إليها في الوقت نفسه وسألتاها: «ماذا»؟

ـ للسيد سترلينغ شقيقة واحدة ما يعني أن ابنة السيناتور سترلينغ وخادمتها تطالعان رواياتنا وأعتقد أن هذه المعلومة ستسعد السيد فينوير حتماً.

لم يسبق لرايني أن التقت المدير العام فينوير لكنها سمعت أنه عندما يثور يسبب صدمة للجميع. ولو أن المسألة لم تنته على هذا النحو...

ـ انتهت الأمور على خير ما يرام عزيزتي.

ـ أمي.

واستدارت رايني لتعانق والدتها وشقيقها: «شكراً على مجيئك فوراً لإنقاذي وعلى إحضارك المستندات اللازمة».

وعانقها كريغ: «تهاني على التكريم مع أنه لا يمكنك قبول الجائزة».

ـ شكراً.

وقال مداعباً: «يمكننا الاعتماد على شقيقتي في انتقاء ثري بين الحشود».

تأوهت وقد سرت الرجفة في أوصالها بعد أن فقدت السيطرة على أعصابها.

نجهم أخوها: «أعتقد أنه يتعين علي قراءة القصة لاكتشف السبب الذي جعله يشعر أن أحدهم تعدى على خصوصياته».

أردفت رايني: «لن نتمكن أبداً من معرفة كافة الأمور التي أثارت حنقه في رواية بوني. لكن لن يضرك أن تطالع رواية خيالية ذات بعد عاطفي قوي فقد تمنحك أكثر من مغامرة عاطفية واقعية».

وهمس: «ولمَ لم تساعدك أنت»؟

ـ بلى! مطالعة الروايات العاطفية علمتني انتظار الرجل المناسب لكنه لم يأت بعد.

ـ آنسة بينيت؟

تناهى إليها من الوراء صوت ذكوري غير مألوف فاستدارت وعندها أحست بدوار.

إنه الرجل الذي رسمته وحلمت به مراراً. وها هو يقف أمامها فصعب عليها التنفس بصورة طبيعية. تأملت ملامح وجهه الصلبة التي عهدتها، فتبيّنت خطوطاً مشدودة حول عينيه وفمه، إنها خطوط لم تكن موجودة منذ سنتين وقد رسمتها تلك الدخيلة التي صوّبت رصاصها على خطيبته.

لا شك أن تلك الخطوط ازدادت عمقاً عندما وجد نفسه على غلاف

رواية «عملية دمج في مانهاتن»، رواية تكاد تكون قصة حياته.

تمتمت: «أنا مستعدة للقيام بأي شيء يمكنه إزالة الألم والعذاب اللذين سببتهما لك ولخطيبتك».

والتمعت الدموع في عينيها الخضراوين ثم لاحت عند زاويتي أهدابها المخملية.

- أرجوك، أخبرها مدى أسفي لتسببي بتحويل حياتكما إلى كابوس. كما لا يسعني تصور مشقة تلك التجربة عليك وعلى عائلتك.

- أجل... لن أكذب عليك بهذا الخصوص.

كانت صراحته كاسحة كنظرة عينيه الزرقاوين اللتين جالتا على ملامحها بحميمية جعلتها ترتعش.

أشاحت نظرها: «أشعر بالعجز لأني قمت بما لا يمكن إصلاحه. لو أستطعت إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، لفعلت».

تأوّهت قليلاً وهي تلفظ كلماتها فهمس بصوت ينضح ألماً: «صدقت».

وتابع يقول: «سيتصل محاميّ بالآنسة كارلو بشأن الرسوم التي في حوزتك».

أومأت: «من الطبيعي أن ترغب في تدمير كل دليل».

قاطعهما المحامي: «عذراً آنسة بينيت. أريد التكلم إلى موكلي».

- بالطبع.

رفعت نظرها إلى بين سترلينغ مجدداً: «شكراً لأنك لم تتقدم بشكاوى ضد الآخرين أو... ضدي... أنا ممتنة لك».

استدارت بعيداً عنه وقد ازداد شعورها سوءاً لأنه لم يعد مجرد ذكرى من صورة بل حقيقة. وجوده الجسدي إضافة إلى الألم الذي شعرت أنه ينبع منه جعلا قلبها يعتصر ذنباً. همس كريغ فيما كان برافقها ووالدتها خارج القاعة: «ماذا قال ليزعجك هكذا»؟

- لا شيء. أشعر بالسوء لتسببي بمزيد من الألم له ولعائلته.

- لم يكن متعمداً وهو يعلم ذلك.

وطمأنتها والدتها: «يجب أن نفرح لانتهاء المسألة. هل يمكننا الاحتفال والقيام برحلة إلى جزيرة ساتن، ما دام الوقت ليس متأخراً وبما أننا سنعود أدراجنا في الصباح الباكر غداً؟ فلطالما رغبت في القيام بهذه الرحلة.

- تبدو فكرة جيدة أمي.

كانت تريد أي شيء يبعد تفكيرها عن باين سترلينغ فتابعت: «سنستقل سيارة أجرة من أمام مبنى المحكمة إلى المحطة. أظن أن الباخرة تغادر خلال ساعة».

واقترح أخوها: «ولدى عودتنا، سأدعوكما للعشاء. أين ستذهب»؟

- سآخذكما إلى «دل فريسكو» فهو يقدم أشهى ستيك في منهاتن.

- يعجبني هذا!

خرجوا من المبنى لإيقاف سيارة أجرة فأسرّت أمها إليها: «أنا سعيدة لأنك تعرفين طريقك. أنت تحبين الإقامة هنا، أليس كذلك»؟

- نعم، لكن الزحمة تثير حنقي أحياناً، فالإقامة الدائمة هنا تتطلب مبالغ طائلة إذا كنت تتوقين إلى العزلة والخصوصية.

- نحن نحظى بها مجاناً لحسن حظنا هناك.

أطلق كريغ صفيراً يخرق الآذان ولكنه كان فعّالاً إذ توقفت أمامهم إحدى سيارات الأجرة المنطلقة بسرعة.

انحنت إلى الأمام لتعطي السائق العنوان: «محطة وايت هول، أرجوك».

وفيما كانت السيارة تقلع مجدداً، لاحظت رايني أنّ باين سترلينغ ومحاميه يضعان نظارات سوداء ويغادران قاعة المحكمة. رحلا معاً في سيارة ليموزين نوافذها سوداء.

أطبقت عينيها فتأملها أخوها باهتمام: «هل أنت بخير»؟

ـ أنا شاكرة لأنه لم يتقدم بدعوى لكنني ما زلت أشعر بالسوء لفعلتي.

ـ سبق للقاضي أن أكّد أنّ لا وجود لسوء نية متعمّد. أدرجيها ضمن تجاربك المثيرة في بلاد العجائب، فذات يوم، ستنظرين إلى الوراء وتسخرين من نفسك.

ـ آمل ذلك.

ـ كريغ محق عزيزتي وأنا واثقة من أن السيد سترلينغ ارتاح لأنك أنت وبوني لستما مختلتين عقلياً وسينسى الموضوع سريعاً.

ـ حتى لو كان هذا صحيحاً، فعليه أن يعيش كل حياته مدركاً أن خطيبته باتت على كرسي متحرّك بسبب امرأة مريضة تصوّرت أنها مغرمة به.

ـ إنه الوجه الآخر لرجل يحمل اسم سترلينغ ويملك حساباً مصرفياً يمكنه إعالة المشرّدين إلى الأبد.

طأطأت رايني رأسها قائلة: «أخبرتني غرايس أنه يقوم بذلك فعلاً».

فسألها أخوها: «بم يقوم»؟

ـ إنه فاعل خير. لقد أنشأ العديد من الجمعيات بما فيها مؤسسة للمشرّدين. أدرك أنه يقوم بذلك للتهرب من الضرائب لكنني واثقة تماماً من أنها أخبرتني كل تلك الأمور لتطمئنني إلى أنه إنساني أيضاً.

ـ بدا رجلاً طيباً عندما أخذته عبر النهر ولا عجب في استعماله اسم فنس، إنه السبيل الوحيد لئلا تعرف هويته.

دفنت وجهها بين يديها: «ما زلت لا أصدق أنني انتقيته للرسم».

أعلنت أمها: «أنا أصدق وكذلك ملايين النساء اللواتي سينتحبن حين لن يرينه على غلاف الروايات المقبلة».

وضحك كريغ: «ماما! لا يسعني تصديق ما قلته للتو».

ـ عليك أن تكون امرأة لتفهم.

داعبها قائلاً: «هل يعرف والدي الحلم السري الذي يراودك»؟

ـ ثمة العديد من الأمور التي يفضل ألاّ يدركها.

ـ لا تقولي إنك تطالعين تلك الروايات أيضاً؟

ـ نستمتع أنا ورايني بقراءتها منذ سنوات.

لم تستطع رايني كبت ضحكتها فتعليقات والدتها نجحت في تحسين مزاجها.

تمتم كريغ وقد بدا ممتعضاً من اعتراف والدتهما: «يبدو أننا وصلنا».

باختصار، اكتشفت راين أن الرجال يشعرون بعدم الارتياح لمجرد التفكير بالروايات العاطفية والأبطال. بدا الأمر شديد الغرابة بما أن الاحصاءات تشير إلى أن الرجال تراودهم يومياً أحلاماً سريّة.

رفعت رايني رأسها لتجد أخاها يدفع الأجرة. ترجلوا من السيارة ليلتحقوا بحشد من الناس يتوجهون إلى المركب.

لازمت عائلتها حتى مغادرتهما إلى المطار في الصباح التالي وتجنّبت ذكر الحادثة المزعجة مع السيد سترلينغ. أما حديثها المطوّل مع كريغ عن خططه المهنية فقد خلف أفكاراً مضطربة في رأسها. لكن ما إن لوّحت لهما مودعة حتى عاودتها الذكريات وكأنها تنتقم منها.

وللتخلص من توترها، بدأت بترتيب شقتها فنظفتها ولمّعت الحمام. وعندما بدا كل شيء نظيفاً ومرتباً، استحمت وارتدت بنطلوناً وتي شيرت واستعدت للعودة إلى رسومها.

وبعد ساعة، كانت قد أنهت نقاب العروس لغلاف رواية «سر العروس».

اتصلت بالدار وحدّدت صباح الإثنين كموعد لتسليم اللوحة. يمكنها الآن العمل على المشروع التالي لصالح بطاقات المعايدة العالمية والذي وردها في البريد.

ما إن وضعت السماعة في مكانها واستعدت للعمل حتى رنّ هاتفها.

افترضت أنه كيفن فلقد دعاها إلى عرض موسيقي الليلة في «غرينوتش فيلاج». ردّت بوضوح:

ـ ستديو رايني بينيت للفنون.

ـ هالو رايني.

ـ غرايس...

واشتدت يدها قليلاً على السماعة مخافة أن تتلقى خبراً سيئاً.

ـ استرخي عزيزتي، فكل شيء على ما يرام. كلود فينوير في قمة السعادة بالأرباح التي حققها.

ارتاحت رايني فأطلقت نفساً حبسته طويلاً.

ـ اسمعي، تلقيت اتصالاً من السيد والاس منذ بضع دقائق وإذا كان يناسبك فسيحضر أحدهم إلى شقتك في خلال ساعة لأخذ الرسوم الخاصة بالسيد سترلينغ. أردت التأكد من أنك في المنزل.

ـ سأكون هنا. أطلبي منهم الاتصال بي في الشقة لكي أسمح لهم بالدخول. أقطن في الطابق الثالث.

ـ جيد. سأتصل بك في الأسبوع المقبل وسنخرج لتناول الغداء.

ـ أود ذلك.

كانت غرايس شخصية مذهلة فأجابتها: «وأنا كذلك. سأتصل بك قريباً».

وما إن أقفلت الخط حتى دنت رايني من الرسوم ورفعتها عن الجدار ثم نظفت الغبار عن الأطر، ووضعتها قرب الباب. شقّ عليها التخلي عن اللوحة الخاصة بعملية دمج في مانهاتن، لكنها لن تعجز عن رسم لوحة أخرى له غيابياً ستكون مختلفة هذه المرة لأنها رأته شخصياً.

لو رسمته مجدداً، لأظهرته في رسومها وهو يعانق خطيبته المقعدة على كرسي متحرك وستفضح عيناه وملامحه الصلبة معاناة قوية.

وفيما جلست تنتظر وصول الرسول القادم من مكتب السيد والاس، فضّت رايني المغلف. يبدو أنها ستصمم سلسلة بطاقات كتب

عليها: «إلى اللقاء، تمتع برحلتك» بلغات مختلفة.

لقد سبق لها أن أقامت في إيطاليا لذا تناولت دفتر الرسوم وبدأت بخربشة بعض الأفكار التي سرعان ما بدأت تدور في ذهنها. وبدأ منظر تلك التلة المفضلة لديها في توسكانا بالتماثل حياً وكأنه مجموعة قطع من نسيج. رسمت إحدى تلك المزارع الساحرة بسقفها القرميدي. لا يمكن لأحد رؤية ما بداخلها لكن مخيلتها سمحت لها بتصوّر شخصين مغرمين ببعضهما بجنون، كانا يقفان أمام إحدى النوافذ المطلة على بقعتهما من الجنة، فأظهر الضوء جسدين متعانقين.

اضطربت حين جمحت أفكارها فرمت قلمها ونهضت عن مكتبها. من الجيد أن يختفي كل دليل حسي على وجوده بعد دقائق... لكنه لن يختفي من ذهنها.

شعرت بدافع قوي لإلقاء نظرة أخيرة عليه فتوجهت إلى باب شقتها وبحثت عن لوحتها المفضلة. كلما درستها أكثر، كلما أدركت أن الرجل الذي رافق أخاها بحثاً عن المغامرة يحمل تشابهاً مع الرجل الذي واجهته في المحكمة.

في النهاية، أعادت رايني اللوحة إلى مكانها مع الأخريات. من المؤسف أنّ المرأة التي أغرم بها لن يسعها أبداً معانقته. إنها قساوة القدر!

حاولت تخيّل نفسها مكان خطيبته.

ارتفع صوت الجرس فقاطع أفكارها المضطربة. رفعت سماعة الهاتف الداخلي، وعندما تأكدت من أنه الرسول، طلبت منه أن يصعد.

بعد نصف دقيقة، سمعت طرقاً على الباب ففتحته متوقعة رؤية شخص في مثل سنّها.

علقت تحيتها في حلقها عندما وجدت رجلاً مسناً يسد الباب.

ـ آنسة بينيت؟

ـ نعم؟

تأمّل الشقة كما لو أنه يقيّم الداخل. أحست أنّ ثمة خطب ما

وكانت على وشك إقفال الباب عندما ظهر خلفه رجل آخر يرتدي سترة رسمية.

ـ سأتولى الأمر جون.

عندما أدركت رايني هويته، تسارعت أنفاسها. لا بدّ أنها تهذي.

بدت عينا باين سترلينغ الزرقاوان الثاقبتان وكأنهما تدرسان كل تفصيل في وجهها وجسمها قبل أن يطبقهما.

ـ جئت من أجل اللوحات آنسة بينيت لكنني أود التحدّث إليك أولاً.

صوته الرجولي حرّك مشاعرها عندما أضاف: «هل لي بالدخول»؟

لم تستطع رايني تصديق أن ذلك يحصل، وشكرت الله لأنها نظفت الشقة باكراً.

ـ أجل بالطبع.

ما إن خطا إلى الداخل وأغلق الباب حتى هيمن على شقتها الصغيرة. بدا صوتها متهدّجاً حتى على مسمعيها حين قالت: «هل ترغب في الجلوس»؟

حوّل نظره إلى اللوحة على مكتبها: «أرى أنني قاطعت عملك لكنني لا أنوي البقاء مدة طويلة. أتيت لأطلب منك خدمة خاصة».

ازدردت رايني بريقها: «إذا كنت قلقاً بشأن اللوحات الأخرى، فسأتصل بالكتّاب الذين ابتاعوها. ولدى سماعهم بما حصل، سيعيدونها إليّ».

هز رأسه القاتم: «انسيها. ينحصر قلقي في جعل خطيبتي وابنة شقيقتي تشعران بالأمان، فهما اللتان ارتعبتا عندما رأتا التشابه على الغلاف».

وضع يديه على وركيه للدلالة على رجولته الطاغية: «أريدهما أن تلتقيا الفنانة. أنا واثق من أننا سنتمكن من تبديد مخاوفهما وتثبت لهما أنك لا تهددين سلامتي أو سلامة أي شخص آخر».

ذهلت لطلبه فهي لم تتصور أبداً أنها ستراه ثانية. وخطر لها مجدداً أنها تسببت رغماً عنها بالرعب لشخصين بريئين يحبانه وهما يحتاجان للشعور بالاطمئنان.

مهما كانت دوافعه عند طلب هذه الخدمة منها أنبأها إحساس ما في أعماقها بأنه يُفترض بها أن ترفض حفاظاً على مشاعرها.

لقد سكن الرجل الذي تعرفه اليوم باسم باين سترلينغ أفكارها مدة سنتين وحاكت بعض الأفكار الحميمة حوله. ولو رضخت لطلبه لتجاوزت ذلك الخط الأحمر وانتقلت إلى مرحلة وضع المخططات.

إن ما سبب لها صدمة فعلية هو مدى توقها لوضع خطط معه حتى لو عنى ذلك لقاء خطيبته. هل تهوى تعذيب نفسها؟

تعلّقت بآخر ما تبقى لها من الإدراك فقالت:

ـ يمكنهما المجيء إلى الاستديو الخاص بي.

ـ سيكون أسهل لخطيبتي أن أتلك إليهما.

بالطبع، فما من مصعد هنا. ما الذي دهاها؟

وأكمل: «أود مفاجأتهما بالأخبار السارة. سيكون ذلك أفضل دواء لهما».

وبكى قلب رايني وهي تفكر: لكن ليس لي. النجدة، ماذا علي أن أفعل؟

جاهدت للحفاظ على تماسك صوتها: «ومتى تفكر في تدبر لقاء لنا»؟

ـ في أسرع وقت ممكن. ربما هذا المساء بعد أن ينهي كلانا عمله.

ـ هذا المساء؟

وسرت رجفة من الإثارة في أوصالها.

ـ فهمت.

وعضّت شفتها عندما تذكرت أنه يوم الجمعة وأن عليها الخروج مع كيفن.

ـ بناءً على ترددك أفترض أنك لست حرة.

تشبثت عيناه بها واستطاعت أن تلمس إلحاحه الذي ترافق مع خيبة أمل.

تمتمت: «س... سأعدّل خططي. فبعد الألم الذي سببته لك ولعائلتك... هذا أقل ما يمكنني فعله».

سيغفر لها كيفن عندما يعلم أنها مسألة قانونية وسيتفهمها، أما الشخص الوحيد الذي سيشعر بالانزعاج من المسألة برمتها فهو رايني خاصة وأنّ إعجابها بهذه القوة.

ـ شكراً لك آنسة بينيت. هل سبق لك أن حلّقت بالهلكوبتر؟

بدأ نبضها يتسارع: «أجل. فصديق أخي يعمل في شركة للهلكوبتر في لاس فيغاس وقد حلق بي فوق نهر الكانيون الكبير مراراً».

ـ جيد. سأرسل لك الليموزين في الرابعة. سنغادر من مكتبي فور وصولك. هل لديك مشاريع للغد؟

تمتمت قائلة: «العمل... لقد تخلّفت بسبب...»

وأنهى الجملة عنها: «لأنني أجبرتك على المثول أمام المحكمة. أحضريه معك وأي شيء آخر تحتاجينه تحسباً لأمسية إضافية واجلبي أيضاً ثوب سباحة».

آه لا!

حوّلت رايني عينيها. خافت أن يلاحظ مدى حماسها للذهاب إلى أي مكان معه... ولقضاء بعض الوقت معه.

وألحّ عليها صوت عميق: وخطيبته... لا تنسيها أبداً يا رايني بينيت! وعندما تشجعت لمقابلة نظرته، وجدته يتأمل لوحتها السريالية لمنارة نانتوكت. كانت معلقة قرب رسومها الخاصة القليلة التي لم يتم شراؤها من قبل كتّاب الروايات.

وفجأة، استدار باتجاهها وباغتها تحدق إليه. لم تشح بنظرها فالتهب خداها.

ـ هلاّ أحضرت صورة كلبك لدى مجيئك.

لم يكن عليها أن تتفاجأ لأنه لاحظ الإطار الصغير على مكتبها إذ بدا أنه ينتبه لأيّ شيء. لكن ما أثار فضولها هو السبب الذي جعله يقدّم اقتراحه.

ـ حسناً.

تلاقت عيونهما للحظة قصيرة: «أراك لاحقاً».

وجمع اللوحات على عجل وخرج من الباب. وشاهدته يختفي هو ورجل الأمن عن الأنظار.

بعد إغلاق الباب، اتكأت عليه متسائلة عما إذا كانت غارقة في حلم من أحلامها. لكن بعد ست ساعات، أدركت أن ما يجري كان واقعاً، إذ أطل جون ورجل أمن آخر من الباب وساعداها على نقل أمتعتها إلى سيارة الليموزين.

ما إن وصلا إلى المرآب السفلي لمبنى سترلينغ حتى قادها الرجلان إلى المصعد الخاص بالطابق العلوي.

عندما انفتحت الأبواب التي قادتها إلى جناح السيد باين، لم تستطع رايني كبح آهة انطلقت من حنجرتها إذ بدا لها أنها تلتقي كل لوحاتها.

كان بطلها الأسمر قابعاً وراء مكتبه المصنوع من خشب السنديان فقال لها:

ـ عندما رأيت غلاف رواية «عملية دمج في مانهاتن» اعترتني ردة الفعل نفسها.

وقفت رايني عاجزة عن الكلام. وحوّلت بصرها عن الإطار الصغير على مكتبه إلى اللوحة التي تمثل سفينة تمر قرب منارة، وهمست غير مصدّقة: «لا».

كانت اللوحة معلقة على الحائط الوحيد الذي لم يكن من زجاج تماماً كما تخيّلت في لوحتها. وها هو البليونير الديناميكي الذي يرتدي بزّة زرقاء، تكاد تكون البزة نفسها التي رسمتها.

كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة عندما رأته ينهض عن كرسيه الجلدي ويحضر لها الصورة الصغيرة الموضوعة على مكتبه. أقرّت بصوت مرتعش: «أخشى النظر».

ألقت نظرة واحدة ثم استقرت عيناها الخضراوان عليه مجدداً: «هذا الكلب، هذا الوجه... يشبه ونستون».

وأومأ موافقاً: «إليك برونو، كلبي المخلص».

تمتمت وقد بدأ رأسها يدور: «لا أصدق».

وانزلقت الصورة من يدها لتقع على السجادة السميكة. وفجأة، أحست بذراع قوية تحيط بها وتحثها على الجلوس على أقرب كرسي جلدي.

كاد وجهاهما يتلامسان ورأت الإنذار في تينك العينين الزرقاوين الساحرتين وشعرت بأنفاسه على وجنتها: «لقد غدوت شاحبة جداً الآن. سأحضر لك بعض المياه».

عاد إليها ووضع فنجاناً بين يديها، فشربت المياه متمنية أن يبتعد عنها لكنه جثا قربها فتوترت. كان قربه شديداً ورائحته عطرة فعجزت عن التفكير أو عن التنفّس.

كان الاهتمام الشديد بادياً في صوته: «أفضل الآن؟؟»

ـ أ... أنا بخير. شكراً لك.

نهضت بغتة في محاولة للابتعاد عنه. كانت الصورة على الأرض فتوجهت إليها ورفعتها. ارتاحت لأن الزجاج لم ينكسر، كما أنها اكتشفت ما دفعه لأن يطلب منها إحضار صورة ونستون معها.

أعادتها إلى مكانها على مكتبه قبل أن تستدير نحوه: «سيد سترلينغ».

قاطعها بقوله: «من المؤكد أننا نخطبنا الرسميات».

لا، لم نفعل! لا يمكننا ذلك.

ـ اسمي بابن.

فكرت في سرها: أعلم، ولا أجرؤ على استخدامه.

كان جسدها يرتجف وهي تقول: «أقسم أنني لم أزر مكتبك من قبل».

علا العبوس ملامحه: «بعد شهادتك في المحكمة وردّ فعلك للتو، أتظنين أنني لا أدرك ذلك»؟

وضعت يداً على حنجرتها: «لا أفهم كيف أمكنني رسم كل شيء كما هو في الواقع. ثمة ما يسمّى صدفة لكن هذا شيء آخر...»

ـ هذا رأيي أيضاً.

حدقت إليه مجدداً: «أنا خائفة. فكيف تفسر كل ما حصل»؟

فرك عنقه قبل أن ينظر إليها من تحت حاجبيه المعقودين:

ـ لقد قالها القاضي. بعض الأشياء لا يمكن تفسيرها فيتعين علينا قبولها كما هي.

ـ لكن خطيبتك قد لن تصدّق أنني لم أتجسس عليك وأنا لم أفعل.

وعلا الاحمرار وجنتيها فبدا تعبير وجهه متجهماً:

ـ لهذا أريدك معي عندما نطلعها وكاثرين على حقيقة الوضع.

ـ ابنة اختك؟

ـ نعم.

ـ كم يبلغ عمرها؟

ـ خمسة عشر عاماً.

ـ وهل أنتما مقرّبان من بعضكما البعض؟

همس: «جداً. لا يجدر بي التفضيل لكن عندما تلتقيانها، ستفهمين السبب».

تساءلت رايني: «أفترض أنهما زارتا مكتبك».

أومأ بدوره: «كاثرين؟ مراراً».

تمتمت رايني: «لا بد أنهما ارتعبتا عندما شاهدتا الغلاف. أنا جد آسفة».

ـ ألا تعتقدين أنك لمت نفسك بما فيه الكفاية؟

كانت نبرة صوته حازمة فأسكتتها.

ـ لنتفق على أنه كان أسبوعاً سيئاً علينا جميعاً ولنتخطى ذلك.

في هذه الأثناء، كان قد بلغ المصعد ووقف هناك برجولته الطاغية التي بدت كطاقة مقموعة تنتظر تحرّرها خارج جدران مكتبه السميكة.

تسارعت نبضات قلبها بإيقاع سبب لها الإعياء. شعرت منذ مجيئها إلى مكتبه بصلة قوية تنمو بينهما. كان الوضع مثقلاً بالخطأ إلاّ أنها وجدت نفسها تدنو منه خطوة بعد خطوة.

كان عقلها يطالبها بالتراجع واختلاق عذر ما قبل فوات الأوان. لكنها تابعت تقدُّمها، وأقفلت الأبواب فلم تعد تصغي إلى ذاك الصوت المنبه الذي كان يكرر لها أنها ستعيش لتندم على ما تفعله.

صعدا إلى السطح حيث تنتظرهما طائرته الهلكوبتر. عليها إيقاف هذا الجنون قبل أن تتطور الأمور أكثر لكن إغراء مرافقته كان أعظم من أي قوة عرفتها.

توجها إلى الهلكوبتر وأعانها على الصعود. كان رجل الأمن الذي رسمته في المحكمة يتبعهما على مسافة قصيرة، ثم صعد وراءهما.

بعدما أحكمت وضع حزام الأمان، أدركت أنها غدت طرفاً في الخطة التي قد تؤدي إلى دمارها. غير أن نظرة واحدة إلى بابن سترلينغ الذي جلس بحيويته وزخمه قرب الطيار أعلمتها أن لا قوة على الأرض قادرة على سلخها بعيداً عنه.

وأسكت هدير المروحية آخر آهة لضميرها ثم أقلعت الطائرة التي حملتها إلى نقطة اللاعودة.

* * *

٥ ـ أخذت شعاع الشمس

إثر المحاكمة، قرر بابن قضاء الليل في منزله ليعمل وقد أطلع كاثرين وديان عبر الهاتف على مشروعه وقال إنه سيشرح لهما كل شيء لدى وصوله إلى منزل فيليس مساء الجمعة.

تدبر أمر انتقال ديان إلى منزل أخته حيث سيتناولون العشاء، لكن المرأتين لا تعلمان أنه سيحضر ضيفة. ستغتبط كاثرين للأمر أما ديان فسيخيب أملها لأنهما لن يكونا وحيدين لكنها سترتاح لدى لقائها الفنانة واكتشافها أنها ليست مجرمة. كانت المرأة الجالسة وراء الطيار تثير انتباهه أكثر مما يرغب فأتاح لمايك مجال الاهتمام بها خلال الرحلة. لكنهم اقتربوا الآن من كريغ هيد.

أدار رأسه نحوها قائلاً: «سنهبط قريباً. سنقطع مسافة قصيرة للوصول إلى منزل شقيقتي».

أومأت رايني برأسها فلمع شعرها تحت أشعة شمس العصر الخافتة.

أدرك أنها مستمتعة جداً بالرحلة إذ راحت عيناها تتأملان كل ما حولها. لا يمكن أن يسأم من شكلها الساحر أو من قوامها الممشوق في هذا الثوب الأصفر الجذاب تحت السترة البيضاء القصيرة التي ترتديها.

تلقائياً طلب من طيّاره أن يحوم حول كريغ هيد قبل الهبوط. لم ينجح رأس المنارة الأبيض وسط المحيط الأزرق في إرعابه يوماً، وتساءل عمّا تراه عيناها الفنانتان في هذا المنظر.

لن يتأخر رد فعلها في الظهور.

وعندما اتجهت الطوّافة نحو ممتلكاته، صاحت مغتبطة وأدارت رأسها في كل اتجاه لإشباع ناظريها من هذا المشهد.

استدار الطيّار استجابة لرغبتها فصاحت مجدداً بسرور: «إنه يشبه كنيسة لو كوبوزييه في رونشان التي زرتها مرة وهي أيضاً منارة. هذا التصميم هو نبوغ صرف. إنه أروع شيء رأيته!»

التحمت عيناها الخضراوان بعينيه: «إنه متحف! هل يمكننا الدخول؟»

سرّه ردها الحماسي فلم يجرؤ على تأملها وهو يقول: «أظن أنه يمكن تدبُّر ذلك».

تعليقه دفع الطيار إلى العبوس وهو يحوم ببطء استعداداً للهبوط. بدت غير مصدّقة ومفعمة بالحماس وقد شعر بذلك بكل ذرّة من كيانه. قالت:

ـ أتعني أننا سندخل الآن؟

بعد الهبوط، فك حزامه ليساعدها على الخروج من الطوّافة. عندما احتك ذراعها بصدره صدفة، شعرت بلسعة نار فيما استنشق هو شذا زهور الربيع المنبعثة منها كما حصل له سابقاً في مكتبه. كانت الرائحة مغرية أكثر مما هو قوية.

ترجّل سام وآندي من سيارة الليموزين للقائهما فقام باين بمهمة التعارف وأضاف:

ـ سأقوم بجولة مع الآنسة بينيت وستغادر بعدئذٍ إلى منزل أختي.

لم تفته نظرة الاستغراب التي حدجه بها مايك قبل أن يشرع الرجال بنقل الأمتعة واللوحات من الطوّافة إلى السيارة.

لم يستغرب باين شعور مايك بالدهشة فلطالما كان شديد الحرص على خصوصياته.

لقد خرق قاعدته الخاصة بإحضار رايني إلى هنا.

كان نظرها لا يزال يدرس المبنى الخارجي فيما توجها إلى المدخل

الشمالي. قالت بصوت هادىء: «إنه منزلك! كان عليّ أن أعرف ذلك».

ـ نعم.

ـ كيف استطعت هجره؟

حبس أنفاسه قائلاً: «أنا أسأل نفسي هذا السؤال كل صباح عندما أصعد في الطوّافة».

توقفت قليلاً أمام الباب وحدقت إليه مباشرة: «اتضح لي الآن من أين يستوحي ملك الزجاج الهاماته فمكتبك هو مجرد مكان حيث تجعل الآخرين يصرّفون شؤونك».

كيف تعرف هذا القدر؟

طأطأ رأسه قائلاً: «هل تقرأين مجلة «ثروات العالم»؟

ـ لا، فغرايس كارلو أرتني المقال لأكوّن فكرة عن الرجل الذي سأواجهه في المحكمة.

والتوى فمها فجأة بشبه ابتسامة تدل على أنها تفهم القوى التي تسيّره.

تمتلك هذه المرأة حاسة سادسة ورسمها خير دليل على ذلك.

ـ هل يمكننا الدخول؟

فضحتها تعابيرها المترقبة، فأضافت: «لا يسعني الانتظار».

النوت شفنا باين قبل أن يستعمل جهازه الالكتروني لفتح المدخل. لاقتهما السيدة مايرز التي أخفت دهشتها جيداً لرؤيته برفقة امرأة أخرى غير ديان.

ـ بيتي؟ هذه رايني بينيت، فنانة من كولورادو وتقيم الآن في نيويورك. ستتجه إلى منزل شقيقتي لتناول العشاء ما إن أستحم وأبدّل ملابسي.

ـ هل تودين تناول شراب فيما تنتظرين آنسة بينيت؟

ـ لا، شكراً لك.

- وماذا عنك سيد سترلينغ؟

- لا شيء أيضاً.

عندما اختفت، استدار إلى ضيفته قائلاً:

- عندما أصعد إلى الطابق العلوي، تصرّفي وكأنك في منزلك فلن أتأخر.

بعد ربع ساعة، عاد إليها وقد أدرك بالضبط أين سيجدها. كان واثقاً تماماً من أن خريطته لأنفاق لوس أنجلوس ستستوقفها. كانت تركز بشدة فلم تسمع خطواته عندما دخل.

استدارت لدى سماعها رنين هاتفه الخلوي فنهضت عن كرسيها: «كم مضى على وقوفك هناك»؟

- بضع دقائق.

تحقق من هوية المتصل ثم أعاد الهاتف إلى جيبه: «أعتقد أنك تجد هذه الخرائط مذهلة شأني تماماً».

- كلمة مذهلة لا تفي بالغرض. فالسير في أنفاق مدينة ما وأنت تجهلين فعلاً ما قد تصادفين يولد نوعاً من المخاوف يشابه ما يختبره مستكشف ما أو رائد فضاء.

وتمتم قائلاً: «إنه عالم للجرذان والقذارة».

فأجابت: «وللتحف. فلا بد أنك تملك الكثير من القصص التي يمكنك إخبارها».

حمله استنادها إلى شهادة بوني ريغلي على الابتسام فقال: «يجب أن أقر بأنه من المثير أن نكتشف شيئاً».

- أوه... أود أن أرافقك في المرة التالية التي تعثر فيها على مدفن قديم.

ها هي تصيبه مجدداً بعدوى حماسها المميز، فقال: «سأتذكر ذلك».

لاحت ابتسامة شيطانية على وجهها: «لن تخدعني. فأنت لست مهندساً عادياً، ومن الواضح أنك تحب الخروج بشيء منطقي من متاهة

محيرة كهذه. عندما كنت أدرس الفنون في الجامعة، أخذت بعض الحصص في هندسة البناء والميكانيك كجزء من المنهج الدراسي. لقد تخلفت قليلاً عن الدروس حينها قبل أن ينتهي بي المطاف إلى نيل ديبلوم الفنون الجميلة. في الواقع، كدت أبدل اختصاصي لأدرس الهندسة فالمجال الذي تعمل فيه هو أكثر المجالات تحدياً على الأرجح. إنه عالم آخر في الأسفل تحت الشوارع. أنا معجبة بالطريقة التي تخيّلت بها ذاك العالم ووضعت رؤيتك على ورق. أنت ترى ما لم يره غيرك، وهذا أمر فريد. أعطي الكثير لأعمل معك وأتعلم منك».

كانت عيناها الحيويتان تتأملانه وهي تضيف: «معرفتك لما يمكن وصله ببعضه وجعله يعمل يعني أن التحديات الجديدة لن تنفد منك أبداً أيها الرجل المحظوظ. هل تعلم كم من الناس يتمنون أن يتحلوا بشغف لعملهم مثلك»؟

- أتعنين كما تحبين أنت عملك؟

ردت: «أنا أستمتع بما أقوم به لكنني لا أنهض كل صباح محاطة بهذا البحر وهذه السماء. لا يسعني فعلاً إيجاد الكلمات لكنك تعرفها لأنك أول من تصور هذا. فالمنارة تتميز بقدر كبير من جمال الشكل وتناغم الخطوط، ما يؤثر فيّ إلى حدّ البكاء».

وتجمعت الدموع في عينيها الخضراوين الفاتنتين وأقرت بابتسامة ساخرة:

- لو أنك تعرفني بشكل أفضل، لأدركت أنني سأبكي كثيراً. فبهذه الطريقة يؤثر فيّ الجمال.

يمكن لباين أن يصدق ذلك، فهو ينظر في هذه اللحظات إلى امرأة جميلة من الداخل والخارج معاً.

- عندما كان الطيار يحوم حول منزلك، راحت ذاكرتي تسجل المنظر. لكن، وبما أنني دخلت فلن يتوقف الأمر. أعدك بألاّ أرسم أي شيء على الورق لكن إذا لاحظت أنني أبدي دليلاً على تراجعي في

الساعات الاثنتي عشرة القادمة فتعاطف معي.

انفجر ضاحكاً بملء صوته. لم يستطع باين أن يتذكر آخر مرّة ضحك فيها، كما لم يتذكر أنه استمتع بوجود امرأة إلى هذه الدرجة من قبل. كانا متفاهمين إلى درجة لا يحتاجان معها إلى الكلمات.

شعر بالراحة. إنها تشعره براحة كبيرة. يشعر أنه حي!

ـ سيد سترلينغ؟

أخرجه صوت السيدة مايرز من أفكاره الخاصة المبهجة والمنذرة بالخطر في الوقت نفسه.

ـ نعم بيتي؟

ـ ابنة أختك على الهاتف تتساءل عن مكانك.

لم يسمع الهاتف يرن حتى، فقال: «أخبريها أنني سأصل في غضون عشر دقائق».

ـ نعم سيدي.

تمتمت رايني: «يجدر بنا الذهاب لئلا ندعهما تنتظران أكثر».

كانت محقة ولكن باين لم يشأ الذهاب.

كان يريد... لا!

حذر باين نفسه: لا تقل ذلك سترلينغ، ولا تفكر بذلك حتى!

سألها وهما يسيران إلى البهو: «هل أنت جائعة؟»

ـ أكاد أجوع.

شعر باين بالجوع منذ رآها لأول مرّة في المحكمة وقد عرف الشهية المتزايدة كلها.

كان عليه أن يرسل مايك لجلب اللوحات لكن قوة قاهرة دفعته إلى شقة رايني، وتلك القوة نفسها حثته على ابتكار سبب ليراها ثانية.

وماذا بعد الليلة؟

كان الجواب بسيطاً إذ ما من مزيد. غداً، سيعيدها طياره إلى المدينة وسيحرص آندي على إيصالها إلى شقتها وسيدمّر باين كل دليل على

وجود الآنسة بينيت في حياته.

مع رحيلها ستعود حياته التي تزعزعت منذ الحادث إلى سابق عهدها. وفيما هذه الأفكار تتلاحق في باله، احتكت يده ببشرتها الحريرية وهو يعينها على الدخول إلى المقعد الخلفي لسيارة الليموزين، فارتعش جسداهما معاً قبل أن تبتعد إلى الجهة الأخرى.

ـ هل ابنة أختك شغوفة بالسياسة كوالدتها؟

جاء سؤالها الحيادي بعد أن غادرا الموقف، ولم يكن بإمكانها انتقاء موضوع أفضل.

ـ لا. ستغدو فاعلة خير ذات يوم.

ـ يبدو أنها تشبه خالها.

ـ بالكاد. فلقد ولدت كاثرين متعاطفة مع الغير.

ـ يا لها من صفة جميلة ونادرة. أتحرّق شوقاً للقائها.

حدّق باين خارج النافذة بعينين فارغتين، فكاثرين ستنجذب إلى رايني كما تتدفق مياه الشلال إلى البركة تحتها، ولن يسعها ردع نفسها على غراره.

ـ أخبرني عن خطيبتك. هل لديها مهنة؟

كان يتساءل متى ستتطرق رايني إلى موضوع ديان.

ـ ثقافتها هي الأدب الإنكليزي وكانت تعمل قبل الحادث في مجلة تصدرها جامعة بلايكلي حيث درست.

ـ بلايكلي جامعة راقية للنساء. لدي صديقة حاولت الانتساب إليها، كانت طالبة مجتهدة وتمتلك مؤهلات عديدة لكنها لم تُقبل.

أومأ موافقاً: «إنها جامعة للنخبة. ماذا حل بصديقتك»؟

ـ انتهى بها الأمر في جامعة فاسار.

وضحك كلاهما في الوقت نفسه.

شكل الأمر تطوراً جديداً بالنسبة إليه. فوجوده مع امرأة تستطيع قراءة أفكاره وتضحكها الأمور نفسها، امرأة يتواصل معها حتى في

لحظات الصمت، لأمر فريد.

ولاح لهما منزل أخته. قريباً جداً ستنتهي رحلتهما وسيضطر أن يتشاطرها مع آخرين ليدعها ترحل بعد ذاك. ستأخذ معها شعاع الشمس. لكنها لم ترحل بعد، ورغم ذلك تملكته التعاسة ما هزه من أعماقه.

ـ خالي باين! ظننا أنك لن تصل!

وهرعت ابنة أخته من الحديقة الخلفية تتبعها كلبتها لايدي ثم فتحت باب الليموزين لمعانقته فلمحت المفاجأة التي أحضرها لها.

ـ كاثرين بويس؟ إليك رايني بينيت.

ـ مرحباً. يسرّني لقاؤك.

وابتسمت قريبته ابتسامة ودودة فبادلتها رايني الابتسام وردت: «كنت أتحرّق شوقاً للقائك كاثرين، فخالك مجنون بك».

ـ وأنا أحبه كثيراً.

ـ حبي! رايني هي الفنانة التي رسمت تلك الأغلفة على الروايات بما فيها رواية «عملية دمج في مانهاتن». وبما أنك أنت من لفت انتباهي إلى ذلك الكتاب، ظننت أنك تودين لقاءها. ستقضي الليلة هنا بصفتها ضيفتنا.

كانت عيناها الزرقاوان تحدقان إليه وهي تقول: «أنت تمزح... أنت لا تمازحني».

وحطّ نظرها مجدداً على رايني: «هل رسمت تلك الصور عن خالي باين»؟

في هذه الأثناء، فتح مايك الباب لرايني فيما راح الرجال الآخرون يحملون الأمتعة واللوحات إلى المنزل لكن الضيفة قبعت في المقعد: «أنا مذنبة».

ـ بل أنت فنانة مذهلة.

ـ هذا ليس صحيحاً ولكنني أشكرك.

ـ لن تصدق نايلا ذلك.

ـ ومن هي نايلا؟

ـ إنها في خدمة عائلتنا منذ سنوات وعندما تنتهي من قراءة رواياتها العاطفية التي تتسلمها بالبريد، تعطيني إياها. لقد أقلقها الغلاف المصوّر على رواية «عملية دمج في مانهاتن» فأسرّت إليّ بذلك. لم يسعني تصديق مدى الشبه مع خالي لذا أريتها له.

تجهم ملامح رايني وقالت: «آسفة لأني أثرت رعبكم جميعاً. أنت لا تعلمين مدى شعوري بالأسف».

فأعلن باين: «لقد انتهى الأمر. طمأنت ابنة أختي إلى أنّ ما من داعي للخوف. لما لا ندخل ونتناول العشاء قبل أن يبرد؟».

وفي ثوانٍ، خرجا من الليموزين وتوجه الثلاثة إلى الباب الخلفي للمنزل.

توقف باين بسبب لايدي التي احتفت برايني وبدت مستمتعة بتعقب خطاها فيما ذنبها يلوح بحماس. يبدو أن الآنسة بينيت اكتسبت معجباً آخر!

ـ لقد حضرت الهمبرغر وسلطة البطاطا لنا، خالي باين. كان عليك أن تعلمني بأنك ستحضر ضيفاً معك لأعد شيئاً مميزاً.

لحقت رايني بهما وأعلنت: «لطالما كان الهمبرغر طعامي المفضل. أخي مولع به، وإذا حاولت تغذيته بطعام آخر كالدجاج فسيرميه إلى الكلب».

وضحكت كاثرين: «وما نوع الكلب الذي تملكين»؟

ـ من فصيلة البولدوغ.

ـ آه كم هو ظريف! كان لخالي باين كلب من نوعه.

ـ أعلم فقد رأيت صورة له على مكتبه ولاحظت أنّ وجهي الكلبين متشابهين.

ـ وما اسمه؟

ـ ونستون.

ـ بالطبع ونستون تشرشل. كم هو مضحك!

وضحكت رايني قائلة: «في بعض الأحيان يبدو كلبي مثله تماماً. وذات مرة، اشترى كريغ سيجاراً ووضعه في فم ونستون فيما التقطت له صورة».

وضحكا معاً.

قالت ابنة أخته: «أود رؤيتها».

وتحوّلت عينا رايني إلى باين: «الصورة في حقيبة يدي».

ـ هل أستطيع رؤيتها؟

ـ بالطبع.

فتحت رايني حقيبتها وسلمتها الصورة التي تظهر ونستون مع السيجار فانفجرت كاثرين بالضحك: «هذا مدخل فهو لطيف».

ـ وأنا أعتقد ذلك أيضاً وهو الكلب الذي رسمته على الغلاف. ووجود لايدي الآن جعلني أفتقده كثيراً.

ناولتها كاثرين الصورة وقالت:

ـ لايدي هي أحد الأسباب التي منعتني من الذهاب إلى مكسيكو مع عائلتي.

أحاط باين كتفي كاثرين بذراعيه وكان يدرك أن ثمة سبباً آخر: «وما هو السبب الآخر»؟

تدخلت رايني: «ربما للأمر علاقة بشاب ما. أذكر أنني فوّت على نفسي بعض الرحلات مع شقيقي وأصدقائه».

ابتسمت كاثرين من دون أن تقول شيئاً، لكن ابتسامتها كانت أشبه بالاعتراف.

لقد جعل الفن من رايني حكماً صائباً على الطبيعة الإنسانية. لكن قربها غيّره كلياً حتى لم يعد يعرف نفسه.

أخذ نفساً عميقاً: «أين ديان»؟

ـ تركتها في الجناح الغربي. سنأكل في الخارج.

ـ جيد. لما لا ترافقين رايني إلى حيث يمكنها أن تغتسل فيما أذهب للعثور عليها.

ـ يسرّني ذلك. تعالي من هنا رايني.

ـ منزلك رائع وكأننا نجول في مجلة تعنى بهندسة الديكور. كما أنه كبير جداً، فشقتي بحجم غرفة واحدة منه.

ـ أين تقيمين؟

اختفى صوتاهما فيما كان باين يشق طريقه إلى الجناح الغربي. كان يود التنصت إلى حديثهما لكن ديان تنتظره. وصرخت عندما شاهدته على العتبة: «وأخيراً! حاولت الاتصال بك».

فأجاب: «أعلم».

دارت بكرسيها حول الطاولة ورفعت ذراعيها نحوه قائلة: «بدا لي أنهما سنتان وليس يومين».

تمنى من صميم قلبه لو يتمكن من قول الشيء نفسه لكنه لم يستطع.

لم يكن قادراً على ذلك وجل ما استطاع فعله هو معانقتها عناقاً سريعاً. فكما استهلت رواية «عملية دمج في مانهاتن»، لوغان تاونساند البطل لم يكن مغرماً بخطيبته.

وباين لم يكن مغرماً بخطيبته أيضاً. لن يتمكن أبداً من التفوه بالكلمات التي تود سماعها فشعوره بالذنب وسعيه لإيجاد علاج لها جعلاه يستعجل في الزواج منها. لقد قال لها إنه سيهتم بها ويحميها فهو يدين لها بالكثير.

كان هدفه الرئيسي هو مساعدتها على معاودة المشي. ومنذ خطوبتهما، سعى جاهداً لتحقيق هذا الهدف بإصرار ولن يقبل بأن يحبطه شيء، لا سيّما تصرّف ديان المهزوم.

ما لم يحسب له حساباً هو دخول رايني إلى حياته. سألته ديان عندما استقام في وقفته:

ـ هل أنت متأكد من أن كل شيء على ما يرام؟

جلس باين قربها بعد أن دفع كرسيها إلى الطاولة مجدداً وتناول يدها قائلاً:

ـ لن تقلقي بعد الآن كما أخبرتك مساء أمس. ولأبرهن لك ذلك، دعوت أحدهم على العشاء وهو الذي سيزيل أي مخاوف لديك.

وانكمش وجهها: «هل أتيت برفقة إلى هنا»؟

ـ أجل وستحضر كاثرين برفقتها بعد دقائق. اسمها لورين ببنيت وهي فنانة تعمل بدوام حر في كولورادو حيث تصمم بطاقات معايدة وتنفذ رسوماً لأغلفة بعض الروايات التابعة لدار الوردة الحمراء. وهي التي رسمتني.

ـ هل اعترفت بالأمر في المحكمة؟

ـ نعم لكن عندما تسمعين القصة كلها ستفهمين أنه مجرد خطأ بسيط.

والتمعت عيناها غضباً: «كيف يمكن أن يكون الأمر هفوة بسيطة وقد قامت بذلك من دون إذن منك»؟

ـ الأمر معقد لذا عليك أن تثقي بي.

شدّت ديان قبضتها على يديه: «كنت آمل أن تسألني قبل أن توجه دعوتك».

شرح لها باين بصوت هادىء: «لم أفعل بسبب رد فعلك المبدئي. عندما بدأت جلسة الاستماع، كنت مقتنعاً بوجوب اعتقال أحدهم لكن يمكننا أن نشكر الله على انتهاء القصة على خير».

زمّت شفتيها وردّت: «أعتقد أنك أسأت الحكم بإحضارها إلى هنا».

وافقها باين الرأي لكن ليس للأسباب نفسها التي تفكر فيها.

ـ كان لدي دافع آخر كما كنت آمل أن يساعدكما لقاءها على نسيان هذه الحادثة.

ـ وأي دافع هذا؟

ـ تشعر الآنسة بينيت بالذنب بسبب ما حصل وقد تساعدها هذه الزيارة على تخطي الوضع بسرعة إذا ما شعرت أننا لا نكنّ لها أيّ ضغينة.

ـ عليها أن تشعر بالذنب.

أدرك أن عجزها جعلها أقل تسامحاً مما كانت عليه من قبل.

ـ حاولي أن تضعي نفسك مكانها ديان. خلال الجلسة، شعرت بالمسؤولية لأنها لم تورّط نفسها وحسب بل الكاتبة والشركة كلها.

حررت يده: «ولمَ لا ترى ما يؤخرهما؟ فإذا انتهى العشاء سريعاً سترحل ويمكننا الانفراد. أريد التحدّث معك بخصوص شهر عسلنا. قررت إلى أين أريد الذهاب لكن ليس إلى سويسرا».

ـ سنناقش هذا الأمر لاحقاً.

ـ سيكون مضيعة للوقت باين.

عبس قائلاً: «لا يحق لك قول ذلك إلاّ بعد أن نفعل كل ما في وسعنا لمساعدتك. سأعود بعد دقيقة».

وخطا بضع خطوات ثم ترك الشرفة.

ـ باين.

سمعها تناديه ليعود لكنه رفض هذه المرة الاستسلام لدموعها.

* * *

٦ ـ هفوة في حياتها

عندما رأت رايني باين على عتبة المطبخ، بدت تعابير وجهه مختلفة جداً. كانت تسيطر عليه قوة انفعالية قائمة بالكاد تمكّن من كبتها. هذا التبدل فيه كان مذهلاً لدرجة أنها كادت توقع طبقي الفواكه المقطعة والخضار اللذين كانت تحملهما.

ـ ما الذي يجري؟

لا بد أن كاثرين لاحظت هذا التغيّر أيضاً لكن جل ما قالته هو: «سنجلب الطعام حالاً، خالي باين. كنت أقدّم رايني إلى نايلا وهي ستأكل معنا لتتمكن من سماع كل ما حصل في المحكمة».

ـ حاضر أيها القبطان.

أثار تعليق باين ضحك ابنة أخته، لكن رايني أدركت أن كاثرين لم تنخدع بمرحه المفاجىء كما لم تفعل هي.

تبعتهما إلى الشرفة فيما أحضرت نايلا الصلصة مع السلطة التي أخرجتها من الثلاجة.

اتخذ باين موقعه وراء خطيبته. هذا التصرّف وضع النقاط على الحروف بالنسبة لرايني لكل ما حصل قبل هذه اللحظة أصبح من الماضي وما سيحصل من الآن فصاعداً يخص مستقبل شخص آخر، ورايني مجرد متفرجة عابرة سبيل.

ـ رايني بينيت! هل لي أن أقدم لك خطيبتي ديان ويلي؟

ـ كيف حالك آنسة بينيت؟

تكلمت المرأة الأخرى أولاً ومدّت يدها فدارت رايني حول الطاولة لمصافحتها.

كانت وديان من العمر نفسه تقريباً. وبدت السمراء الجذابة لرايني من النوع الذي قد يواعده أخوها أكثر من...

أرغمت رايني نفسها على إيقاف تخيّلاتها. فباين سترلينغ لا يعني لها شيئاً، لا يمكنه ذلك!

ـ أنا جد شاكرة لأن فرصة لقائك أتيحت لي فأنت لن تعرفي مدى أسفي لتحميلكم مزيداً من الأسى.

تأملت خطيبة باين رايني بعينيها البنيتين النبيهتين قبل أن تترك يدها قائلة:

ـ قال باين إنه مجرد خطأ بسيط لذا من الأفضل نسيانه. أخشى أن اهتمامه بسلامتي تسبب بتدخله في حياتك.

تمتمت رايني: «إنه ليس تدخلاً. لقد أنبنا للتو من مكتبه وكدت أصاب بنوبة قلبية عندما رأيت مدى التشابه بين الواقع ورسمي. لذا، لا بد أن يرتاب المرء. فبعد ما قاسيته، أردت أن أقابلك شخصياً وأطمئنك إلى أنني لم أتقصد اي أذى. آمل أن تتمكني يوماً من نسيان ذلك».

ـ رايني؟ هل تودين الجلوس بيني وبين نايلا؟

ودّت رايني لو تعانق كاثرين لتجنيبها هذا الموقف الصعب. اتخذت مكانها مصممة على عدم مواجهة عيني مضيفها. لن تفكر فيه أكثر. بعدما شرعوا بتناول الطعام قال:

ـ الهامبرغر وسلطة البطاطا هما أفضل ما تذوقته يا عزيزتي.

ـ شكراً. ثمة المزيد في المطبخ.

وأعلنت رايني بدورها: «كل شيء لذيذ».

منذ لقائها ديان ويلي، فقدت شهيتها لكنها أرغمت نفسها على تناول الطعام لئلا تجرح مشاعر كاثرين. وقبع الكلب قرب ساقيّ رايني.

ـ هل يعتبر إعطاء «لايدي» بعض الطعام أمراً مخالفاً للقواعد؟ فهي

تنظر إلي بعينين متوسلتين.

وابتسمت المراهقة: «يمكنك إطعامها بعض الفراولة».

رمت رايني واحدة التقطتها لايدي قبل أن تلامس الأرض فكررت ذلك وهي تقول: «يحب ونستون الفراولة لكنه يحب العنب أيضاً».

ـ لايدي تكره الحامض.

ـ لِمَ لا تخبرينا كيف اتفق أن رسمت خطيبي؟

كانت رايني تترقب هذا السؤال. وقبل أن تتمكن من الكلام، وقف باين وقال وهو يتجه نحو الباب:

ـ لحظة رايني. أريد أولاً أن أحضر صورة أخيك ولوحتك.

وعاد بعد ثوان حاملاً اللوحات ثم وضعها على الكراسي الزائدة. نهضت كاثرين ونايلا لتفحصها فسألت الخادمة: «لم أكن أعلم أنك ترسمين لوحات كبيرة من أجل الأغلفة. لا بد أنها استغرقت وقتاً طويلاً».

ـ إنها تتطلب الكثير من العمل لأنني أقوم برسوم أولية حتى أحدد شكل اللوحة النهائي.

أدارت نايلا وجهها الحيوي نحو رايني: «يسرني حضورك فهذه اللوحات رائعة. أنت فنانة مذهلة».

وصرخت كاثرين: «أنت كذلك بالفعل».

ـ شكراً.

ـ نايلا؟ هلا ناولتني تلك التي يظهر فيها باين في مكتبه أرجوك؟

ـ إليك سيدتي.

رفعت الخادمة الصحون ووضعت اللوحة أمام ديان التي تفحصتها لدقيقة ثم رفعت رأسها لتنظر إلى رايني: «هل حصلت على إذن لرسم هذه المرأة»؟

توقعت رايني أن يكون محامي باين عدائياً وليس خطيبته. لكن السيد والاس ليس امرأة مقيّدة إلى كرسي متحرك مغرمة بموكّلها.

أخذت رايني نفساً عميقاً: «أجل، فهي عارضة سبق لي أن استخدمتها على عدة أغلفة. لكنني أحياناً أرسم غيابياً لذا رسمت السيد سترلينغ».

ومن دون مقدمات، قضت الدقائق العشر التالية تقص الحكاية نفسها التي روتها في قاعة المحكمة فيما يشاركها باين بتوضيحاته فيما يخص شهادة بوني ريغلي.

وسمحت لها رايني برؤية صورة ونستون إضافة إلى صورة أخيها. وأشار باين إلى أن رايني تملك لوحة سريالية لمنارة فانتوكت. تمنت أن تكون كاثرين وديان راضيتين فتابعت:

ـ وبسبب هذه التجربة، أمر القاضي أن يستخدم كل الفنانين العاملين لدى دار الوردة الحمراء عارضين مجازين.

تمتمت ديان: «هذا ما ظننته».

ـ أنا واثقة من أنهم يفعلون ذلك على أيّ حال.

ـ ولِمَ لم تفعلي أنت؟

ـ لأني أحياناً لا أجد العارض المناسب لما أريد تصويره. وكما شرحت، يقفز وجه ما في الحشود أو من صورة إلى عقلي من دون سابق إنذار.

ـ تعنين كما حصل مع خطيبي.

أجابت رايني بصدق: «أجل».

لقد زالت المخاوف القديمة إنما برزت الآن مخاوف جديدة فالمرأة الأخرى تظن أن رايني مهتمة بباين.

وما هي الطريقة المثلى لفضح رايني أكثر من إرغامها على مواجهة تحرجها أمامه وأمام ابنة أخته؟

كانت ديان تجهل أن ما من داعي لأن تخاف من رايني وقد حان الآن الوقت لتبرهن ذلك. فأوضحت: «بما أني فنانة، فأنا أنظر إلى كل وجه بطريقة مختلفة عن معظم الناس. السيد سترلينغ جذاب بطريقة ما كحال

العديد من الرجال. فبعض العارضين من الرجال يحبسون الأنفاس».

أومأت نايلا: «هذا صحيح للغاية».

جزاك الله خيراً يا نايلا! قالت ذلك في سرّها ثم أردفت:

ـ في الواقع، إن ما أقرأه على وجه المرء هو ما يجعله غير منسي، فطباع السيد سترلينغ، ثقته بنفسه وجديته في العمل، نضاله، تصميمه وشغفه بالحياة... كل هذه المواصفات تداخلت لجعله بطلاً من الناحية الفنية.

فابتسمت كاثرين له: «واو! خالي باين. هل سمعت ذلك»؟

علق: «أجل».

تجاهلته ووضعت صورة كريغ أمام ديان مجدداً: «ألقي نظرة أخرى على خطيبك».

كانت رايني الآن تحمل خطيبته على التعاون علماً أنّ هذا آخر ما تود ديان.

ـ أرأيت الطريقة التي يحدق فيها إلى ضفاف النهر؟ تبدو عيناه وكأنهما تنظران إلى ما وراء ذلك إلى شيء آخر لا نراه نحن. يمكنك القول إن ذهنه مشغول برؤيا باطنية وهذا ما يجعله وجهاً يستحق التوقف عنده. ولهذا السبب وجدت نفسي فجأة أرسمه لأسابيع متتالية. بدا مثالياً لبعض الروايات التي طُلبت مني. وعندما أتى دور «عملية دمج في مانهاتن» بدا لي الأمر تناغماً روحياً بين الرجل والقصة.

وعقدت المرأة الأخرى حاجبيها الداكنين:

ـ بما أنك فنانة بارعة، فلما تتكلفين العناء من أجل رواية عاطفية عديمة الأهمية؟

كانت رايني تتوقع تعليقاً مشابهاً، من الطبيعي أن يصدر عن امرأة كديان، فهي لم تقرأ أبداً قصة رومنسية وتنظر إليها بكثير من الوضاعة.

ـ ستخبرك الملايين من النساء أنهن يجدنها لا تقاوم. لذا سعت دار النشر لأن ترضي القراء الذين يطالبون بالمزيد. وأعتقد أنّ من المهم

بالنسبة للكاتب أن يعكس رسمه على الغلاف تصوّره لعلاقة الحب الرائعة في القصة. إنه عملي. وإذا ما قمت به على أكمل وجه، فسينسجم القرّاء أكثر مع القصة.

علّقت نايلا: «أضمن ذلك، فأنا أقرأ القصة حتى لو كان الغلاف سيئاً. لكن عندما يكون جميلاً تصبح القصة أكثر إثارة».

وتابعت كاثرين: «خصوصاً تلك الرواية التي تمثل خالي باين محارباً! كانت قصة جميلة جداً فدفعتني لمراجعة الكثير من الكتب عن المحاربين».

وأومأت رايني بدورها: «لقد كتبها كاتب يتمتع بخلفية تاريخية اسكندينافية. وقد فعلت مثلك يا كاثرين فذهبت إلى المكتبة قبل أن أبدأ بالرسم. لن تعرفي كم تسليت أثناء تنفيذ ذلك الغلاف لأن الكاتب استند إلى واقعة تاريخية. فالملابس التي رسمتها كانت مطابقة لنموذج في متحف في النروج».

همست نايلا: «كانت مرعبة حقاً، لكني أحببت الغلاف الذي رسمته للسيد سترلينغ على رواية «طفل طبيب الأطفال».

ـ خالي باين! الطفل الصغير الذي كنت تحتضنه طريف جداً.

فعلق بقوله: «هل ذلك صحيح»؟

ونسيت رايني العهد الذي قطعته على نفسها بألاّ تنظر إليه فتلاقت أعينهما. كانت عيناه تبتسمان فملأتاها بالدفء فسارعت بالنظر إلى كاثرين.

ـ كان هذا مات، وهو ابن صديقتي الحميمة.

قالت نايلا متنهدة: «إنه رائع. لا زلت أرى تينك العينين الزرقاوين الشقيتين».

ـ ذات يوم، أريد طفلاً يشبهه.

ـ لنقل بعد حوالى عشر سنوات حبيبتي.

ـ خالي باين!

ضحك الكل باستثناء خطيبته التي استقرت نظرتها على رايني.

ـ وكيف انتهى بك الأمر إلى رسم غلافات الروايات العاطفية من دون سائر الأمور؟

ـ في أحد الأيام، وفيما كنت في المركز الإعلامي للثانوية حيث كنت أدرس الفنون، عثرت على كتاب يسمى عالم الأدباء في الولايات المتحدة. شرعت بتصفّحه، وكان يحوي أسماء مئات دور النشر التي تستعين بالأعمال الفنية، فأرسلت طلبات. كنت أحياناً أتلقى ردوداً وأحياناً أخرى لا. وطلبت دار الوردة الحمراء رؤية ملفي، فأرسلته وتم توظيفي. كما عملت لحساب شركة بطاقات المعايدة العالمية بالطريقة نفسها.

ـ أنت موهوبة جداً.

بدت ديان متعبة ليس من الموضوع وحسب بل جسدياً أيضاً.

ـ شكراً لك آنسة ويلي وأود الاعتذار ثانية للألم الذي سببته لك من دون علمي. آمل أن تتمكني من تجاوز ذلك.

تمتمت: «لقد فعلت. من الواضح أنك لم تتقصدي أي أذى. أتمنى لك الحظ في خططك المستقبلية».

ـ أريد أن أتمنى لك الأمر نفسه. هل حددتما موعداً لزفافكما؟

ـ الأول من آب.

اخترقت هذه الكلمات قلب رايني كالسكين فأردفت: «ليس بعيداً جداً».

قاطعها باين: «أنت محقة. وما زال أمامنا أنا وديان مسألة مهمة نناقشها. لذا، سنستأذن منكم».

وانتصب على قدميه وقبّل وجنة كاثرين: «أراك غداً عزيزتي. كان عشاءً رائعاً. عمت مساءً آنسة بينيت».

همست رايني: «وأنت أيضاً».

وربّت على كتف الخادمة: «نايلا؟ إياك أن تتغيري».

وما إن توجّه مع خطيبته إلى المنزل، حتى التفتت كاثرين إلى رايني:

ـ إذا أحضرت لك بعض الأوراق، فهل ترسمين صورة لايدي؟.

ودت رايني أن تعانقها لطلبها، فإعلان باين سترلينغ عن موعد زواجه شكل لها صدمة أقوى مما تصوّرت. وعندما تغضب رايني، تلجأ دائماً إلى مرسمها كوسيلة للمواساة وهي الآن تعاني الأمرّين.

ـ يشرّفني ذلك. في الواقع، عندما كنا نأكل صوّرتها في مخيلتي.

بدت كاثرين مذهولة: «أحقاً؟»

ـ أجل. لقد أعطيت اللوحة اسماً.

ـ ماذا؟

بدا الفضول على نايلا أيضاً فسألت: «ما هو؟»

ـ سترين.

فصاحت كاثرين: «سأجد لك بعض الأوراق وقلماً».

ـ لا حاجة لذلك. حقيبة الرسم قرب أمتعتي، وهي تحوي كل ما أحتاجه.

ـ سأحضرها.

ولحقت لايدي بها.

همست رايني فيما كانت كاثرين تتوارى عن الأنظار داخل البيت: «إنها فتاة رائعة».

أومأت الخادمة: «مجيئك الليلة جعلها أسعد مما كانت عليه منذ مدة طويلة».

ـ ولمَ تقولين ذلك؟.

ـ أخوها الأصغر توفي السنة الماضية إثر إصابته بسرطان في الدم. لم تتقبّل الوضع بسهولة...

ـ سرطان في الدم...

ـ آه... لم أكن أعلم أنك تجهلين ذلك. لا يفاجئني ألاّ يخبرك السيد سترلينغ ذلك. ثمة العديد من أوجه التشابه بين الكتاب وبين حياته.

ـ يا إلهي، نايلا!

ـ كانت سنة صعبة. أولاً، وفاة ابن اخته ثم حادث الآنسة ويلي الرهيب. إنه مصمم على أنها ستعاود المشي ثانية لكنها تقاومه. أخشى أن السيد سترلينغ يعاني كثيراً...

ـ تفضّلي!

عادت كاثرين سريعاً فلم يتسنّ لنايلا فرصة إنهاء ما كانت تقوله.

كانت رايني ترتعش من تأثير خبر المأساة التي وقعت على آل سترلينغ وشعرت بالغثيان.

لن تصدق بوني ريغلي عندما تتصل رايني بها لتخبرها أن قريب بابن توفي بسبب سرطان في الدم.

كم من الصدف العجيبة تنتظر توضيحاً وكم منها ما زالت رايني تجهله؟

سرت رعدة في أوصال رايني وفتحت حقيبتها بيدين مرتجفتين لتأخذ الأدوات التي تحتاجها.

ـ هل تريدين أن تقف لايدي أمامك؟ أستطيع أن أجعلها تجمد لبضع دقائق.

ـ شكراً كاثرين لكن هذا لن يكون ضرورياً.

ـ هل تمانعين إذا وقفت خلفك للمشاهدة؟

ـ بالطبع لا.

جثت لايدي قربهما وكأنها تعرف ما يجري.

لم يستغرق الأمر طويلاً ليخرج الرسم إلى الحياة. وبعد قليل عادت نايلا التي كانت تنقل الصحون إلى المنزل فقالت لها كاثرين: «هلا ألقيت نظرة على ذلك...».

ـ لا أدري كيف تقومين بذلك.

ـ صدقيني كاثرين ولا أنا.

فأقرت نايلا: «إنها هبة».

اهتز صوت رايني وهي تقول: «هبة ورطتني في مشاكل جمّة».

ـ لقد صفح عنك خالي بابن وإلا لما أحضرك إلى المنزل أبداً.

ـ حسناً! وبما أنني اعتذرت من الآنسة ويلي، علينا أن ندمّر تلك اللوحات لئلا يتذكرها أحدهم ثانية.

صرخت الفتاتان معاً: «ندمّرها»؟

ـ نعم فهذا ما أمر به القاضي. وإذا تخلصنا منها فلن يضطر السيد سترلينغ لمواجهة المزيد من الآلام.

ـ أنت محقة. وإذا كانت المسألة قانونية فأفترض أن الوقت مناسب الآن للاهتمام بها.

ـ شكراً لك نايلا.

وفيما كانت الخادمة تحمل اللوحات إلى المنزل، أنهت رايني الرسم، وكتبت في أعلى الجهة اليسرى: «إلى كاثرين». أما في زاوية الرسم السفلى، فوضعت توقيعها ثم كتبت التاريخ وأحرف اسمها الأولى.

رفعت الورقة بحذر وسلمتها إلى كاثرين: «هاك».

حملتها المراهقة من طرفيها: «المتسوّل».

ثم انفجرت ضاحكة: «إنها رائعة! لقد أحببتها. سأضع لها إطاراً وأعلّقها فوق سريري. اعذريني فسأريها لنايلا. بعدئذٍ، سأجري بها إلى الطابق العلوي لئلا تتلف».

بقيت رايني وحدها فألقت نظرة على ساعتها ووجدت أنها تشير إلى الحادية عشرة إلا ربعاً.

نهضت ووضبت كل شيء في حقيبتها بما في ذلك صورة أخيها ثم أعادت صورة ونستون إلى حقيبة يدها. عند عودتها إلى المنزل قابلت نايلا: «أين سأبيت الليلة»؟

ـ في غرفة الضيوف المجاورة لغرفة كاثرين. سأجلب أمتعتك وأرافقك إلى هناك.

ـ أكون شاكرة لك. ولكن قبل ذهابنا، أريد أن أطلب منك خدمة أخرى.

ـ وما هي؟

ـ هل يمكنك إحضاء صورة لتريفور من دون علم كاثرين؟

نظرت الخادمة إليها وكأنها فهمت ما يجول في بالها ثم قالت:

ـ أجل. تحتفظ بصورة في محفظتها وهي المفضلة لديها. سأحضرها.

بعد خمس عشرة دقيقة كان الجميع قد تفرّق. وبعد أن جهزت رايني نفسها للنوم، عادت نايلا مع الصورة. شكرتها رايني فهذا الأمر سيعينها على إبقاء أفكارها مشغولة عن باين وخطيبته.

بدأت رايني برسم الصورة مستخدمة الألوان المائية بدلاً من القلم. أرادت أن تكون هذه الهدية كاملة.

للوهلة الأولى، بدا تريفور في التاسعة أو العاشرة من عمره ويشبه أخته إلى حدّ كبير.

انهمرت الدموع على وجنتي رايني مرات عديدة خلال الليل لمجرد تفكيرها بأنه توفي باكراً جداً.

وفي الخامسة صباحاً، بدت أخيراً سعيدة بعملها. رسمته جالساً مع كاثرين في الحديقة الخلفية ولايدي جاثية عند أقدامهم وقد أحاطتها ذراع كاثرين فيما كانت ذراعها الأخرى على كتف شقيقها.

بعدما وضعت ألوانها جانباً، خلدت رايني إلى النوم مرهقة لكنها عجزت عن النوم رغم مرور ساعتين. فأزاحت الغطاء عاجزة عن التمدد في السرير مدة أطول.

لقد غيّرها لقاء باين سترلينغ بشكل تخشى حتى التفكير فيه. ومع أن خطيبته ليست الشخص الأكثر وداً في العالم بعدما حصل لها، لكن رايني لا تستطيع لومها.

لقد استجمعت شجاعتها لتتابع حياتها وتتزوج رجل أحلامها. لم

ترغب رايني بتعذيب نفسها بالبقاء قربه بضع ساعات إضافية في حين أن تفانيه تجاه ديان غير مشكوك فيه.

يا الله! سيتزوجان بعد شهر آخر!

إن لم تتحكم رايني بنفسها وبالوضع فوراً، لأصبحت كتلك الدخيلة التي أقعدت خطيبته في كرسي متحرّك.

دعت الله لاستجماع قواها وارتدت ملابسها ثم هرعت إلى الأسفل مع حقائبها. رأت رجلاً لم تره من قبل يجلس في كرسي في البهو يطالع مجلة رياضية. رفع رأسه:

ـ صباح الخير آنسة بينيت. أدعى ستان.

ـ صباح الخير.

كيف أمكن لرايني أن تنسى أن ما من شيء يجري في عالم آل سترلينغ من دون حضور رجال الأمن؟

ـ هل يمكن لأحد ما أن يوصلني إلى المدينة؟ كان السيد سترلينغ ينوي إعادتي بالطائرة إلى نيويورك في وقت لاحق اليوم لكنني تلقيت للتو اتصالاً هاتفياً أرغمني على تعديل مخططاتي. يجب أن أرحل.

ـ بالطبع. سأحضر لك سيارة ليموزين لتقلك.

ـ شكراً لك. لا بد أنّ عليك إبلاغ السيد سترلينغ لكن هلا تريثت قليلاً. فهو مع خطيبته ونحن صباح السبت. ولو كنت مكانه لكرهت أن يزعجني أحد بخصوص مسألة ثانوية كرحيلي. بدت شديدة الإرهاق مساء أمس.

تردد رجل الأمن للحظة ثم أومأ برأسه وأجرى اتصالاً هاتفياً. تجولت رايني في المنزل قليلاً ثم خرجت. كانت الرياح القوية الآتية من المحيط تملأ الجو برذاذ مالح، وأدركت من مشهد السماء أن الشمس قد لا تظهر اليوم.

ودّت لو تتواجد في كريغ هيد لتستمتع برؤية عناصر الطبيعة، ولكن ذلك المكان الرائع والرجل الذي يقطن فيه محرّمان عليها. وذكّرت نفسها

بأن عليها أن تبتعد عن الإغراء وعن الحلم.

مع وصول سيارة الليموزين، كانت قد عقدت العزم على العودة إلى موطنها فالعيش في نيويورك أكبر خطأ ارتكبته في حياتها.

* * *

٧ ـ دهاليز الرغبة

توجه باين إلى الباب الخلفي لمنزل أخته في الثامنة وخمس دقائق استعداداً لحمام صباحي في المحيط مع كاثرين ورايني. ودُهش حين لم تلاقيه لايدي في المدخل. فبوجود ضيف مشوّق كرايني، لا بدّ أنّ ابنة أخته بقيت مستيقظة حتى ساعة متأخرة مساء أمس وهي لا تزال نائمة الآن.

قد تكون رايني في سريرها أيضاً ولكن باين شعر أنها من النوع الذي يستيقظ باكراً. وتصوّرها في مكانٍ ما من المنزل منكبة على العمل على مشروعها الفني الأخير.

أمل أن تكون على الشرفة حيث تناولا طعام العشاء، فتوجه إلى هناك. وعندما اكتشف أن المكان خالٍ وأنها ليست ظاهرة للعيان، سرت رعشة من خيبة الأمل في أوصاله.

لعلها في المطبخ تتناول الفطور مع الخدم! لكنه طرد هذه الفكرة ما إن لمح ستان، وهو أحد رجال أمن شقيقته، يتناول فنجاناً من القهوة وحده. عندما رآه الرجل الآخر، وضع فنجانه وقال:

ـ كنت سأتصل بك بعد قليل.

لم يحتج ستان إلى التفوّه بكلمة أخرى ليدرك باين أن أمراً ما حصل وأنه لن يكون سعيداً به.

كأن تكون رايني قد رحلت!

ـ متى رحلت الآنسة بينيت؟

ـ منذ حوالى الساعة. أوصلها جاد إلى المدينة. لقد طلبت مني عدم ازعاجك لأنك مع الآنسة ويلي.

ـ يفترض بك إزعاجي فهذا جزء من عملك!

وانفجر باين في نوبة غضب نادرة فسحر رايني كان قوياً جداً بحيث تمكنت من إخضاع شخص محترف كستان.

لا ينبغي عليه أن يهتم! لا ينبغي عليه أن يهتم لو رحلت بعيداً من دون علمه لكنه كان مهتماً وأكثر بكثير مما تصوّر.

ـ خالي باين؟

استدار لدى سماعه صوت ابنة أخته الخافت. كانتا هي ونايلا واقفتين على العتبة مع «لايدي». فهمست نايلا: «أخشى أنني السبب في رحيل الآنسة بينيت هذا الصباح».

وحثته كاثرين قائلة: «تعال وانظر».

لحق بهما بخطى متثاقلة إلى غرفة الطعام الرئيسية حيث رأى مجموعة من الأوراق مرمية على الطاولة.

وقفت نايلا في الطرف الآخر وقالت: «مساء أمس تحدّثت عرضياً مع الآنسة بينيت عن مرض تربفور لأنني ظننتها تعلم بشأنه، لا سيّما بعد أن قرأت الرواية عن البطل المصاب بسرطان في الدم. لم يسبق لي أن رأيت أحداً منهاراً كما كانت لدى اكتشافها الموضوع. وقبل خلودها إلى النوم، سألتني أن أحضر لها صورة له وهذه هي النتيجة».

وضعت كاثرين يداً على ذراعه: «وجدتها في غرفة الضيوف هذا الصباح».

اقترب أكثر ليرى عمل رايني، وبمجرد إلقاء نظرة واحدة على الصورة المرسومة بألوان ناعمة كادت حنجرته تنطبق لفرط انفعاله.

لقد أبدعت في عملها فمشاعر الحب، والحلاوة، والحنان الظاهرة تربط بين الأخ وأخته. همست كاثرين:

ـ إنها جميلة لدرجة أنها مؤلمة.

كانت اللوحة جميلة وهي تؤلم لأن كل ما ترسمه رايني أو تصوره يعكس مشاعراً نابعة من القلب.

راحت ابنة أخته تبكي بهدوء على كتفه:

ـ كيف علمت أنني وتريف كنا نمضي الوقت في اللهو في الحديقة الخلفية مع لايدي؟

ـ أعتقد أنّ هذا جزء من موهبتها العظيمة.

لم يجد لذلك أي تفسير آخر. ولمعت عينا نايلا وهي تقول: «لقد شعرت بالأسى الشديد لتسببها بالتعاسة لعائلتك ومن الواضح أنها كانت ترغب بمغادرتكم مخلّفة وراءها هدية تجلب لكم السعادة. يا لها من إنسانة رائعة! لم يسبق لي أن التقيت أحداً مثلها».

فردّ باين في سرّه: ولا أنا.

ـ لقد رسمت صورة أخرى لي خالي باين، سأحضرها.

وفيما راقب كاثرين وهي تخرج من الغرفة، قالت نايلا: «لا ألوم الآنسة بينيت على رحيلها المبكر فأنا واثقة من أنها تتوق إلى نسيان هذه المسألة المزعجة برمتها وإكمال حياتها».

لم يسع باين مخالفتها بعد أن أخضع رايني للأمرّين خلال جلسة الاستماع وأرغمها على مواجهة ديان التي لم تفعل شيئاً سوى إحباطها طوال الأمسية.

دخلت كاثرين غرفة الطعام وبيدها رسم آخر تناوله منها فيما قالت: «ستحب هذه أيضاً».

قرأ الكلمات عالياً: «المتسوّل».

لقد جسّدت رايني بشكل لا يصدق التعبير المتسوّل في عيني لايدي فيما كانت تنتظر الحصول على ما تأكله بصبر وأدب مبالغ فيهما.

تمتم باين: «لقد خلفت لك كنوزاً حقيقية».

وضع الرسم على الطاولة قرب اللوحة الأخرى ثم سأل: «أين هي الرسوم الأخرى»؟

ـ طلبت مني رايني التخلُّص منها.

رمق نايلا بنظرة نافذة: «ماذا»؟؟

ـ لا تقلق فأنا لم أستطع القيام بذلك وهي موجودة في غرفتي.

ـ أستطيع دائماً الاعتماد عليك. احتفظي بها من أجلي وسآخذها لاحقاً.

ـ بالتأكيد.

وتدفق الدم في عروقه. إذا لم يصرّف طاقته الفائضة قريباً، سينفجر.

ـ كاثرين! ارتدي ثوب السباحة فسنسبح.

ـ لقد ارتديته تحت ثيابي.

ـ إذن دعينا نذهب.

ـ سأحضّر الفطور بانتظار عودتكما.

قال للخادمة: «لا أريد شيئاً لكن شكراً على اقتراحك نايلا».

بعد خمس وأربعين دقيقة، خرج هو وكاثرين من المياه، لكن السباحة لم تحسّن مزاج باين الذي بدا عاصفاً كالطبيعة. كانت ابنة أخته مستغرقة في أفكارها الخاصة فلم يتبادلا الحديث إلا قليلاً إلى أن عادا أدراجهما إلى البيت.

ـ لم أكن أعلم أن البطل في رواية «عملية دمج في مانهاتن» يموت إثر سرطان في الدم أو أن تلك الكاتبة فقدت ابنتها بسبب المرض نفسه. هل ما زالت الرواية لديك؟

ـ أجل.

ـ أود قراءتها.

ـ هل أنت متأكد؟

ـ طبعاً. لا أفهم كيف يمكن لديان أن تقول إن الروايات العاطفية لا تعكس الواقع.

ـ ستغيّر رأيها إذا قرأت واحدة.

لقد شكّلت مطالعته لرواية ريغلي اكتشافاً بالنسبة إليه. وتابعت ابنة أخته:

ـ لكن المشكلة أنها لن تفعل ذلك أبداً.

ـ ستكون هي الخاسرة.

عليه أن يجد طريقة لدفع ديان للذهاب إلى سويسرا.

ـ هل ستمضي النهار معها؟

ـ لا. لدي عمل في المكتب وستبحث هي ووالدتها في مستلزمات أثواب الوصيفات. ما هي مخططاتك؟

ـ سنلعب أنا ولينداً التنس مع مجموعة من الأصدقاء، وأعتقد أننا سنشاهد فيلماً في وقت لاحق.

ـ يبدو ذلك ممتعاً. تأكدي من أنّ هاتفك معك لكي نستطيع أن نبقى على اتصال.

نظرت إليه: «سأفعل... خالي باين»؟

كانا قد بلغا الحديقة الخلفية حين لاحظ ترددها: «ما الأمر»؟

ـ بعد عودة أمي وأبي، أود دعوة رايني على العشاء لتتمكن العائلة كلها من مقابلتها. هل ستوافق على ذلك؟

كان قلبه ينبض كالمطرقة: «بالطبع. لِمَ تسألينني»؟

ـ ديان لا تحبني ويمكنني أن أقول إنها لم تحب رايني.

فعلّق باين في سره: قولي لي شيئاً أجهله.

ـ لا تقلقي بهذا الشأن.

ـ بعد زواجك أتمنى أن تستمر في زيارتنا غالباً.

ـ لن يردعني أحد أبداً عنك حبيبتي.

وعانق باين ابنة أخته قبل أن يستقل سيارة الليموزين قائلاً: «خذني إلى منزل آندي».

خلال رحلتهم القصيرة إلى كريغ هيد اتصل باين بطياره وطلب منه تجهيز الطوافة إذ سيتوجه إلى المدينة بعد عشرين دقيقة.

خلال حديثه مع كاثرين في طريق عودتهما من الشاطىء، اعتراه شعور غريب، شعور لم يستطع تفسيره، لكنه مرتبط برايني وبرحيلها المفاجىء. وفجأة، شعر بحاجة للحاق بها.

كادت الساعة تبلغ الظهر عندما ترجل من الليموزين أمام المبنى الذي تقيم فيه. ضغط على الزر وانتظر جواباً. إن لم تكن في المنزل فسينتظر خارجاً بقدر ما يستلزم الأمر حتى تظهر.

كان يستعد لإزعاجها برنة ثانية عندما سمع ضجة ثم أجابه صوت رجل: «نعم»؟

تجمّد باين في مكانه: «هل هذا استوديو لورين بينيت»؟

ـ نعم.

جاهد لكبح جماح غضبه: «هل لي بمحادثتها»؟

ـ من يتكلم؟

كانت رغبته في ضرب الرجل تتزايد فصرخ باين: «إن لم تجب في غضون خمس ثوانٍ، فسأصعد لمعرفة السبب».

عندئذٍ، جاءه صوت رايني المتقطع: «أنا هنا، سيد سترلينغ».

قطب حاجبيه. ما الذي تفعله بحق الله مع رجل في شقتها في هذا الوقت المبكر من النهار إلا إذا..؟ وأثارت فيه الصور التي خطرت في باله مشاعر بدائية يعجز عن وصفها فقال:

ـ علينا أن نتكلم. متى تتفرّغين؟

ـ ظننت أنك وخطيبتك... لا تهتم... لا يهم الأمر. أمهلني دقيقة فقط، أرجوك!

يبدو أنها تركت منزل شقيقته لموافاة عشيقها. من بين كل الأسباب التي تخيّلها لرحيلها من دون إطلاعه، لم يتصور أبداً أن يكون السبب رجل.

لكنه عاد وتذكر أنها ألغت مخططات أخرى مساء أمس لمرافقته. كم من الوقت مضى على تلك العلاقة؟

ـ حسناً. يمكنك الصعود الآن.

فتح الباب وصعد السلالم على عجل وصولاً إلى شقتها. وجدها أمام الشقة وقد أغلقت بابها وحاولت يائسة أن تبدو مرتاحة لكنها بدت أيضاً متعشة وبريئة ببلوزتها القطنية وجينزها الأزرق فوجدها شديدة الجاذبية. كان قلبه ينتفض بين ضلوعه حين قال:

ـ ألن تعرفيني إلى صديقك؟

ـ لقد عاد إلى شقته.

كم هذا مناسب!!

ـ إن كان الوقت غير مناسب فلما لم تقولي ذلك؟ كنت لأزورك لاحقاً.

ـ أنت رجل مشغول سيد سترلينغ. وبما أنك تكبدت عناء القيادة إلى هنا، لم أشأ تحميلك مشقة المجيء ثانية.

كانت تخفي أمراً ما عنه فعلق بقوله: «كان عليك أن تفكري في ذلك وتبقي في منزل أختي حتى يتم إيصالك إلى منزلك».

لم تحرّك ساكناً لكن لم يسعها الحؤول دون أن يزحف الاحمرار إلى عنقها ووجهها الجميل.

ـ لقد نشأت على المعتقد القائل إن الإقامة الممتعة هي القصيرة. ومساء أمس، فعلت ما بوسعي لإراحة خطيبتك وابنة أختك. وعندما أفقت هذا الصباح، لم أستطع تبيان أي سبب لإطالة إقامتي.

ـ أستطيع إعطاءك واحداً.

كانت يداها تفركان جانبي وركيها بطريقة لعلها لا تعي تأثيرها، ولم تعد تبدو واثقة تماماً من نفسها الآن.

ـ هل من خطب ما؟

ـ أعتقد أن بهو المبنى ليس المكان المثالي لاستكمال هذا الحديث.

وعلا الاحمرار وجنتيها.

ـ هل تفضلين النزول والجلوس في السيارة فيما نتكلم؟

صاحت بنعومة وقد وضعت يداً عصبية على حنجرتها: «لا»!

ـ أستطيع الذهاب إلى مكتبي والعودة لاحقاً إذا كان الأمر يناسبك.

وبدت مرعبة: «أرجوك، لا تفعل ذلك».

ـ إذن، ما الذي تقترحينه؟ إذا كنت تخططين لقضاء اليوم مع الرجل فوق فقولي ذلك، يمكننا التحدّث غداً.

فهمست: «لا. يمكنك الدخول لدقيقة».

دقيقة؟

دخلت إلى الشقة وتركت الباب مفتوحاً له. بعد دخوله، استجمع قوته كلها لئلا يصفق الباب. وعندما استدار نحوها ونظر إليها، تجرد من أسلحته كلها وبرد غضبه.

ـ يبدو أنك تخلين المكان.

ـ نعم.

لاحظ العديد من الصناديق على كنبتها، فهرعت ووضعتها على الأرض.

ـ هاك. يمكنك الجلوس الآن.

لكنه بقي حيث كان: «هل تنتقلين للعيش معه»؟

عضت شفتها السفلى من الداخل فأثاره هذا التصرّف.

ـ لا أريد أن أكون فظة لكنني أعتقد أنه شأني الخاص فقط.

ـ سيخص ابنة أختي عندما تحاول دعوتك على العشاء في منزلها فور عودة والديها يوم الإثنين ولا يمكنها تحديد مكان إقامتك.

انتفض رأسها الأشقر فيما غدت عيناها الخضراوان دخانيتين مجدداً وبدت معذبة: «يجب ألاّ تدعها تفعل ذلك».

حبس أنفاسه قائلاً: «بعد تلك الصورة الرائعة لأخيها والتي ستقدّسها طيلة حياتها، هل تعتقدين حقاً أنها لن تبذل ما في وسعها لشكرك»؟

ـ أنا مسرورة لأنها أعجبتها ولكن...

فطالبها: «لكن ماذا»؟

ـ لن أكون هنا في الأسبوع المقبل.

يا إلهي! وأدرك ما سيلي قبل أن تتفوّه به.

ـ سأعود إلى دياري في كولورادو غداً.

شعر باين بالألم كما لو أن رصاصة اخترقت قلبه.

ـ سترحلين من دون وداع؟

ـ لقد تودّعنا مساء أمس.

ذكّرها قائلاً: «سمعتك تقولين بوضوح عمت مساءً».

حوّلت عينيها عنه فيما ارتجف صوتها وهي تقول:

ـ أعلم أنك تظنني أهرب لأضمد جراحي بعد ما حصل في المحكمة لكنك مخطىء. لقد أسدت لي الجلسة خدمة إذ أحضرت أخي إلى نيويورك.

كلما تكلمت بسرعة، كلما افتضحت عصبيتها أكثر.

ـ لم نعد نمضي الوقت معاً كما كنا نفعل. عندما كان هنا تكلمنا طيلة الليل. بعد الأسبوع القادم، لن يدير كريغ أي رحلات نهرية في الزوارق، فهو يستعد لافتتاح مؤسسة خاصة لبيع أدوات الرياضة. كان هذا حلم حياته. وقد أعطاه المصرف القرض وعثر على مكان في موقع جيد. ومع أنه تلقى العون إلا أنه يحتاج للمزيد.

تكورت قبضتا باين: «وهكذا، قررت فجأة إسداء هذا المعروف لأخيك».

أكملت شرحها: «لدي بعض المدخرات ولن أحتاج إلى المزيد من العمل لفترة. أريد مساعدته على تحقيق ذاته».

ـ أنت فنانة! فنانة مذهلة. انتقلت إلى نيويورك لتتبعي حلمك الخاص.

ـ لم أخطط للإقامة هنا إلى الأبد. كانت تجربة، مغامرة ليس إلاّ.

ـ وهل يعلم أخوك بما تنوين التضحية به من أجله؟

ـ ل . . . ليس بعد. أنوي مفاجأته.

ـ لا أصدّقك.

بدت غاضبة لكن غضبها أخفى الرعب خلفه: «ماذا تعني»؟

ـ أنت لا تهرعين لمساعدته بقدر ما تهربين من شيء ما. اعترفي بذلك.

كانت نقف الآن قرب النافذة تنظر إلى الخارج متعمّدة ألاّ تواجهه.

ـ أرجوك ارحل سيد سترلينغ. عندما ترى ابنة أختك، ودّعها بالنيابة عني ودعها تعلم مدى سعادتي لأنها أحبت الصورة.

ـ لقد أحبت الرسمين، وستفرح العائلة كلها عندما ترى لوحة «المتسوّل». لا بد أن هذين الرسمين استغرقا طيلة الليل.

لم يتمكّن باين من النوم أيضاً.

ـ لن أغادر هذه الشقة حتى أعلم لما خططت للاختفاء من دون أثر.

مضى وقت قبل أن ترد بصوت خفيض: «سترغمني على البوح، أليس كذلك»؟

وثارت ثائرته فصاح بها: «بما ستبوحين»؟

أدارت رايني رأسها باتجاهه وقد علا وجهها تعبير مأساوي وشرعت تقول بصوت مرتجف:

ـ إنها تعلم أنني زرتك في مكتبك وأنني استقليت طائرتك، كما تعلم أنني زرت كريغ هيد. وبعد ليلة أمس، أصبحت تعلم أنني أمضيت الليلة في منزل شقيقتك. لو كنت خطيبتك، لاستطعت التعامل مع هذه الأمور على اعتبار أنها نتيجة الجلسة. لكن إذا حصل أي اتصال آخر، أو حتى مجرد تهامس فسأشعر بأنني. . . مهدّدة.

تقدم خطوة منها: «إذا ظننت أن العودة إلى كولورادو ستزيل هذا التهديد، فأنت مخطئة جداً. يمكنك الذهاب إلى أقاصي الأرض من دون أن يشكّل ذلك أي فارق».

فبادلته الهجوم: «إذن، فأنت لم تقم بما يكفي لتجعلها تشعر

بالأمان».

عجز عن الرد على تلك الملاحظة فقال: «لن تشعر أبداً بالأمان حتى تتمكن من معاودة المشي. ثمة عيادة في سويسرا قد تساعدها لكنها ترفض السفر».

إثر هذه الملاحظة، أسندت رايني نفسها إلى طرف المكتب فيما طأطأت رأسها.

ـ أتفهم السبب، فمن الصعب جداً أن تسافر مليئة بالأمل لتكتشف بعدئذٍ أن أولئك الأطباء عاجزون عن المساعدة.

ـ ديان لا تزال تشعر بساقيها رايني، وثمة أمل في أن تسير مجدداً وإلا لما حثّها الأطباء على الذهاب إلى تلك العيادة للاستشارة والمعاينة.

وجازف بقوله: «هذا الصباح وفيما كنت أسبح أنا وكاثرين في المحيط، خطرت لي فكرة يمكنها أن تدفع ديان إلى العدول عن رأيها. لقد أشرت إليها منذ لحظات عندما ذكرت شعورها بأنها مهددة.

كلامه جعلها ترفع رأسها. وكان اهتمامه محصوراً بها بالكامل وهو يتابع:

ـ بدلاً من تعليق مهنتك من أجل أخيك الذي لا يملك حتى الآن فكرة عما تخططين له، ما رأيك في العمل لحسابي، علّ ديان تتمكن من رمي ذلك الكرسي المتحرك بعيداً»؟

بدا الذهول على وجهها: «لو ظننت أن بإمكاني المساعدة لفعلت لكنني لا أرى ما يمكنني فعله».

ـ ليلة أمس، قلت إنك مستعدة للتضحية بأي شيء لقاء العمل معي.

هزت رأسها موضحة: «كنت متحمسة وأنت تعلم ذلك».

ـ لقد قصدت ما قلته رايني. لذا أقترح أن تنتقلي إلى منزلي في كريغ هيد وأن تظهري مواهبك الفنية عبر رسم الخرائط لحسابي. إنه اتفاق مهني يعود بالفائدة المادية علينا معاً.

التمعت عيناها الخضراوان فيما تابع: «لم ألتق بشخص قادر على القيام بذلك حتى ظهرت. فبمساعدتك، سأتفرغ للسفر من دون أن أقلق على أيّ تأخير على الصعيد التقني. عليّ فتح أسواق جديدة قبل أن يسبقني المنافسون. في المقابل، لنأمل أن تشعر ديان بأنك مهددة لتواجدك في حياتي فتوافق على السفر إلى سويسرا لمعاودة السير لتتمكن من مواجهتك على قدم المساواة».

بدت حانقة وهي ترد: «لا يمكنك أن تكون جاداً».

ـ أنا لا أقول أبداً ما لا أعنيه. يجب أن تفهمي أمراً ما عن خطيبتي فلا يملك أحد عزة نفس أكثر من الآنسة ديان ويلي. وضعها صَعب جداً عليها لدرجة أنه حال بينها وبين أصدقائها وبين عملها في المجلة. لقد قدمت يد العون في حملة زوج أختي الانتخابية الأخيرة. وكانت في الماضي تتطلع لخوض معترك السياسة بنفسها ولكن كل ذلك اختفى إذ لم تعد الشخص نفسه.

تجمعت الدموع والتمعت في عيني رايني: «إنها مأساة كبيرة».

وتمتم باين: «إنها كذلك. لا يستحق أي كائن حي أن يقاسي كما تفعل. ليلة أمس، شعرت بألمها لأنها اعتادت أن تكون حيوية ونشيطة مثلك، تشارك بكل ما أوتيت من قوة. ولو رأيت أن ثمة فرصة لأن تعود إلى ما كانت عليه، لحرّكت الأرض والسماء لتحقيق ذلك».

همست: «أنا واثقة من ذلك».

ـ منذ وفاة تريفور وكاثرين تساعد ديان بطريقتها اللطيفة. حاولت تذكيرها بأنّ أخاها لم يكن لديه أي أمل على عكسها لكن خطيبتي لا تتجاوب. لاحظت فيها مساء أمس بوادر التمرّد فيما كنت تسحرين الجميع.

وأكمل في سرّه: بمن فيهم أنا.

ـ غدت كاثرين فتاة مختلفة بفضلك، وديان تدرك ذلك. بفضل تعاونك، قد تثور ديان فينتهي بها المطاف إلى حد أن تطلب مني أخذها

إلى سويسرا. أعتقد أن هذا المخطط سينجح، وقد أجول الأرض لكنني لن أعثر أبداً على ندٍ أفضل منك لها.

وبعد استراحة قصيرة قال: «إذا كان جوابك الرفض، فسأرحل من هنا ولن تتعاملي معي ثانية. أما إذا كان جوابك الموافقة، فستعلمين أنك حاولت مساعدة إنسان آخر على استعادة حياته».

بدا الذهول الشديد على رايني فأضاف: «أدرك أنني أطلب الكثير ولا يحق لي أن أفعل ذلك. أنا أفعل الكثير من دون أن أملك الحق في ذلك ولكنني نشأت هكذا».

وطال الصمت فاستجمع قوة إرادته كلها وخرج من الشقة تعتريه الدهشة لرؤيتها واقفة هناك تعصف بها الحيرة. لكنها لم تكن حائرة إلى حد أن تناديه ليعود.

توجه نحو السلالم فالتفكير بحياته من دون رايني جعله يغرق في يأس شديد. ولم يتذكر أنه نزل سلالم الطوابق الثلاثة. كان مايك وجون واقفين في مكانٍ ما في الجوار ينتظران صعود باين إلى مؤخرة الليموزين. فتحت الأبواب وأطبقت في غمضة عين.

ـ باين؟

ـ ما الأمر آندي؟

ـ الآنسة بينيت على جانب الطريق تشير إليك لتنزل زجاج نافذتك.

خبر لحاق رايني به إلى الشارع كان أشبه بسقوط شخص ما من مكان عالٍ ليفاجأ بأن مظلته تنفتح فجأة في اللحظات الأخيرة.

ترجل من السيارة بسرعة البرق محاولاً التقاط أنفاسه. كان الرصيف يعج بالناس ولكن بدا لباين أنه ورايني الشخصان الوحيدان في الوجود. لم تتمكن من تجنب نظرته وهو يقول: «ما كنت لتقفي هنا لو أن جوابك سلبي. هلا ناقشنا الموضوع في السيارة أو في الأعلى».

بللت شفتيها بعصبية: «متى تريد مني البدء»؟

ـ الآن.

- ب... بهذه السرعة.

- يجب أن أسافر إلى باريس صباح الثلاثاء. لهذا، أود مراجعة خرائطي في عطلة نهاية الأسبوع لأريك كيف أعمل.

- لكن شقتي...

- سأساعدك في إنزال ما تحتاجينه للعطلة. نهار الإثنين المقبل، سنتدبر أمر شركة نقل الأمتعة. يمكنك تخزين كل ما لا يلزمك فيما تسكنين معي.

- يجب أن أبقى هنا لتسليم البريد المتعلق بلوحتي الأخيرة.

- سنقوم بذلك وسأتكفل بأمر تسليمها.

- لا، فلقد سبق أن اتفقت معهم.

قرر باين أن يدعها تنتصر. تعلم فيما مضى عندما يكون على وشك نيل صفقة جديدة، أن يتروى عندما تلوح فرصة جديدة في الأفق لئلا تفلت الأمور من يديه.

- لن... لن أحتاج إلى مساعدتك بالنسبة لأمتعتي. وإذا انتظرتني هنا، فسأعود حالما أنتهي.

- خذي ما تشائين من الوقت فلن أذهب إلى أي مكان من دونك.

أدرك باين أنها تسعى إلى العزلة لتودع الرجل الذي كان في شقتها. المسكين يجهل أنها ستصبح خارج متناول يديه ما إن يقلع بها بعيداً.

وفيما كان ينتظر، اتصل بابنة أخته: «مرحباً خالي باين!»

- كيف الحال؟

- رائعة!

لم تكن متحمسة هكذا منذ وقت طويل.

- لقد دعوت أصدقائي لرؤية رسوم رايني وهم يرغبون في أن تقوم برسمهم ورسم حيواناتهم الأليفة ليتمكنوا من تقديم اللوحات لذويهم في عيد الميلاد. هل تظنها ستقبل إذا دفعوا لها المال؟

ابتسم قائلاً: «انطلاقاً من معرفتي برايني فهي لن تأخذ المال».

- أنا واثقة من أنك محق لكنه مجهود ضخم بما أنها تعمل في وظيفتين.

- اسمعي، يمكنك طرح السؤال عليها بنفسك غداً.

- هل دعوتها إلى المنزل مجدداً؟

- لا. لقد عرضت عليها عملاً بدوام كامل معي فوافقت وهي ستنتقل إلى كريغ هيد حيث ستعمل على خرائطي.

وساد صمت طويل...

- خالي باين... هل تعلم ديان بالأمر؟

- ليس بعد. سأخبرها الليلة!

- سيجرحها الأمر كثيراً.

- آمل أن يثير ذلك غضبها.

أدرك أن دماغها منشغل بكلامه عندما قالت: «أنت تريد إثارة غيرتها».

- أريد أن تسير مجدداً وربما إذا ثار غضبها فستقوم بشيء حيال الأمر وتفكر بالذهاب إلى تلك العيادة في سويسرا.

وساد صمت مؤقت آخر: «وهل تعلم رايني لما سألتها المجيء للعمل لديك؟»

- نعم وهي تود مساعدة ديان أيضاً.

- وأنا أيضاً.

- لقد سبق لك ذلك. أنت عزيزة على قلبي وأنا واثق من أن رايني ستستمتع بصحبتك. يمكنك التجوّل معها والتأكد من أنها تعلم أين يمكنها السباحة بأمان.

- وهل تظنها تهوى الإبحار؟

- سنكتشف ذلك. تعالي في الصباح لتناول الفطور معنا.

- وهل ستحضر ديان؟

ـ سأدعوها. استمتعي هذا العصر وسأراك في الصباح.

بعد انتهاء المخابرة، أجرى اتصالاً آخر بطياره لإخطاره بأنهم سيعودون أدراجهم إلى كريغ هيد قريباً.

بعد ساعتين من الزمن، تكررت الأحداث أمام عينيه عندما التقت مدبرة منزله براييني في منزله.

ـ سيدة مايرز! لقد وافقت الآنسة بينيت على العمل معي وستقيم معنا في الوقت الحاضر. جهزي لها الغرفة المطلة على التمثال.

التوى فم رايني فيما قالت: «يبدو هذا مثيراً».

ـ أجل. هل يمكنني أخذ أمتعتك الآن، آنسة بينيت؟

ـ أرجوك ناديني رايني. سأحملها.

ـ ستكتشفين بنفسك أن مساعدتي الجديدة تملك نزعة استقلالية.

تمتم باين بذلك فردت مدبرة المنزل التي تحب إبقاء الأمور رسمية: «يناسبني الأمر طالما تنادينني بيتي».

ـ اتفقنا.

ـ سنعمل في مكتبي بيتي. عندما تنهين عملك، هلا أحضرت لها الغداء؟

ـ سأحضره فوراً.

كان باين يتوق للاختلاء برايني وشرح طريقة وضعه للرسوم الأولية. سيستعين بعينيها الخبيرتين وبخبرتها لتطوير المشروع وإجراء تجديدات.

وبعد لحظة تأمل، أخرج رسوم باريس التي باشر بالعمل عليها. وفيما كان يفردها على طاولة العمل الواسعة، رن هاتفه الخلوي وتبين له عندما تحقق من هوية المتصل أنها ديان.

تحوّلت عيناه إلى رايني: «عليّ أن أجيب على هذا الاتصال. سأريك ما يمكنك فعله».

بدا الأمر كلعبة عملاقة مركبة وتملّكه فضول شديد لمعرفة الوقت

الذي ستستغرقه لتركيب القطع معاً. ابتعد بضع خطوات وأجاب على الاتصال. لقد أصبحت رايني تحت سقفه، وحان الوقت لاستكمال باقي مخططه.

* * *

٨ ـ اعترافات امرأتين

غفت رايني بشكل متقطع فتسللت عند الفجر من سريرها الكبير لتجلس على زاوية النافذة وتتأمل المحيط الأطلسي الشاسع. وفيما كانت تصغي إلى أصوات النورس التي تخترق هدوء الصباح، تذكرت ما قاله كريغ في محاولةٍ لمواساتها: «اعتبري هذه التجربة مع باين سترلينغ كجزء من مغامرتك على الأرض».

وهكذا ستنظر إلى وضعها من الآن فصاعداً.

إنها مغامرة رائعة كتلك التي تستمتع بها مع البطل في رواية عاطفية. لكن النهاية ستحين مع باين. وإلى أن يحدث ذلك، ماذا سيحصل لحياتها بعد لقائها بالبليونير المثير واللامع؟

ما الذي سينتج عن عملها المؤقت كمساعدة له في مخبته الذي يعتبر كنزاً كمعمارياً.

فتحت النافذة لتتنشق هواء البحر وتستمتع بنسيم المحيط. أدت رطوبة الجو إلى التفاف أطراف شعرها وباتت بشرتها التي اعتادت على مناخ جبال كولورادو الجاف ناعمة وطرية.

اجتمع شملها مع باين في هذه الفترة بالذات من لعبة القدر، لعبة لن تدوم فلما إذاً تستمر في تعذيب نفسها بهذا الشأن؟

لِمَ لا تكون العامل الذي قد يخرج خطيبته من خوفها فتتمكن من السير نحو الرجل الذي ينتظرها قرب المذبح؟

متى لعبت رايني دوراً رئيسياً في عملية إنقاذ شخص ما؟

وجاءها الرد... أبداً!

ـ صباح الخير آنسة بينيت.

نظرت رايني إلى الأسفل لترى مضيفها يسير على الشاطىء بسروال قصير فبدا كبطل جاين أوستن المعاصر.

ابتسم لها فبادلته الابتسامة وفكرت في سرّها: انتبهي رايني ولا تدعيه يكتشف أن رؤيته تذيب عظامك! تصرفي بشكل طبيعي.

ـ إذا كان في نيتك مفاجأة الشابات كلهن فيمكنك أن تعتبر أنك أتممت مهمتك بنجاح!

ـ إذا أفزعتك يا عزيزتي فهذا لأنك كنت تتمنين مروري في هذا الوقت بالذات لأمسك بك في الجرم المشهود. لذا، يمكنك ادعاء أنني أفزعتك.

ـ إن الشائعات عن غرورك لا تفيك حقك. أليس جميلاً أن تُغرم بنفسك بما أنك لن تجد من يكون قادراً على أن يحبك بهذا القدر؟

انفجر بالضحك فسمعت رايني صدى ضحكته الرجولية.

وفجأة، تناهى إليها صوت تصفيق: «أعتقد أن الروائية جاين أوستن حيّة ترزق في كريغ هيد».

نظرت رايني إلى اليمين فلمحت ديان.

ـ لقد كتبت إحدى أهم الروايات الرومنسية، ألا تظنين ذلك آنسة وايلي؟

ـ لقد كتبت العديد منها وأعتقد أن «الإقناع» أبرزها.

حمل ذكر هذا العنوان تحديداً مغزى خفياً وأدخل جواً مختلفاً على أجواء هذا الصباح. ولاحظت أن باين متأثر بقدرها.

إن الإقناع هو ما تحتاجه ليصلا إلى تلك العيادة.

ـ فهمت أننا سنتناول الفطور لدى وصولك. لذا، أعذريني سأنزل حالاً.

سلخت نفسها عن النافذة غير راغبة في رؤيته يسلّم على خطيبته.

يوم أمس، عمل معها طيلة بعد الظهر وحتى حلول المساء. كانت العلاقة بينهما مربكة لكن لم يسعها التصديق أن الأمور جرت على ما يرام وأنه كان أستاذاً بارعاً.

لم تلاحظ مرور الوقت وهي برفقته، ولم تصدّق حين عرفت بأن الساعة قاربت السابعة والنصف مساءً عندما اعتذر منها ليخرج مع ديان لتناول العشاء.

أدركت رايني أنه سيعلم خطيبته بأنه وظّفها. وبما أنها لم تره إلا عندما كان يسير بين الأمواج منذ لحظات، لم تعلم كيف كان رد فعل ديان على الأنباء الجديدة التي حملها. لكن ظهورها المفاجيء الآن، بيّن لها أن خطته نجحت إلى حد ما. لقد أقحمت نفسها في الموضوع مطالبة بحقها أمام رايني.

آخر ما تريده رايني هو أذيتها وكل ما استطاعت فعله هو اللحاق بخطى باين راجية أن يثير ذلك رد الفعل المناسب فتتجاوز ديان حاجزها النفسي. وبما أنّ الحرارة منخفضة، ارتدت رايني بنطلوناً أبيض وكنزة قطنية صفراء. ثم سرحت شعرها ووضعت القليل من أحمر الشفاه على شفتيها.

لم يعد باستطاعتها فعل شيء سوى موافاتهما. غادرت غرفة النوم وهي تجهل تماماً ما ينتظرها، لكنها أدركت أن ديان تنتظرها. كان المشهد من غرفة الطعام رائعاً إذ أنها تطل على المحيط.

استرقت نظرة إلى باين فتسارعت دقات قلبها بسبب حيويته الذكورية.

ـ اختاري ما تشائين من الأطباق المعدّة.

ـ شكراً.

سكبت رايني بعضاً من عصير البرتقال ثم وضعت في صحنها القليل من النقانق والبيض.

ـ تعالي واجلسي.

كانت ابتسامة المرأة الأخرى صادقة فامتثلت رايني لطلبها وهي واعية تماماً إلى أن ديان ستدفعها إلى مواجهة ما.

ـ كيف نمت آنسة بينيت؟

وضع باين يده على يد ديان قائلاً: «بما أننا سنرى بعضنا كثيراً من الآن وصاعداً فلنستخدم أسماءنا الأولى».

خافت رايني أن تختنق وهي تشرب العصير فوضعت الكوب جانباً وقالت:

ـ بصراحة، كنت شديدة الحماس بحيث بقيت صاحية معظم الوقت. بدا الجو أشبه بالجنّة.

ـ لم يسبق لأي امرأة عدا السيدة مايرز أن نامت في كريغ هيد.

ـ لا بد أنك سعيدة لأن هذا المكان سيغدو منزلك بعد الأول من آب. فتصميمه ينقلك إلى العالم الآخر مع أنك ثابتة على الأرض والمحيط كله عند قدميك. أعتقد أنك أكثر النساء حظاً لأنك ستحصلين على هذا كله.

ـ عندما يضع باين مصعداً سيصبح مناسباً أكثر بالنسبة لي.

ـ إذا غادرنا فوراً إلى سويسرا فقد لا تحتاجين أبداً إلى استخدام المصعد مجدداً.

ـ لن يحصل ذلك باين. لكن بما أنك أثرت الموضوع فأعتقد أن الوقت حان لأقول ما يجول في خاطري.

حوّلت ديان نظرها إلى رايني التي كانت تتساءل عما سيلي، فتوقفت عن المضغ.

ـ أنا أدرك لما وظفك.

كشف تصريحها الجريء عن النار التي أشار إليها باين عندما سأل رايني التواطؤ معه.

ـ المشكلة تكمن في أنني لست واثقة من أنه أطلعك على السبب.

لم تملك رايني أي خيار عدا لعب دور البلهاء: «لا أظن أنني أفهم».

ـ تلك الخرائط مقدّسة لدى باين، ولا يسمح لأيّ شخص من شركته بدخول كريغ هيد لرؤيتها. وهو لا يأتمن أحداً عليها لأنها ثروته الفكرية، مفتاح نجاحه. وفجأة، قرر السماح لرسامة ترسم أغلفة لدار الوردة الحمراء بالانتقال إلى حضنه ومساعدته في رسومه البالغة التعقيد إلى حد أن لا أحد عدا باين نفسه يستطيع فهمها؟

وأطلقت ضحكة متعمّدة ثم أضافت: «لا أعتقد ذلك. قد أكون مقعدة لكني لست غبية يا رايني. كلانا يعلم أنه أتى بك إلى هنا ليضغط عليّ لأنه يريد مني الذهاب إلى سويسرا لإجراء جراحة».

مبادلة المرأة الأخرى التحديق من دون أن يرف لها جفن تطلّب من رايني استنفار كل عصب وعضلة في جسمها. تابعت ديان:

ـ أخبرته أنني لن أذهب لكنه لا يفهم معنى كلمة لا. ما فعله هو اللجوء إلى أحد أساليبه الملتوية للضغط عليّ فأحضر امرأة جذابة إلى منزله بحجة العمل لديه. إنه يدرك أنّ هذا الوضع سيثير أقاويل عائلتنا وأصدقائنا، وأي طريقة أفضل لحملي على تبديل رأيي أكثر من التهديد بإذلالي.

وغاص قلب رايني فمع أن عظة ديان لم تكن انفعالية لكنها كانت تموت دون شك من الداخل حين تابعت: «ما يرفض تقبّله هو أن ما من معجزة تنتظرني في نهاية الطريق. أعتقد أن ما أحاول قوله هو إن الخطوة التالية تعود إليك».

توقفت لتحتسي جرعة من قهوتها. وعندما وضعت الفنجان جانباً مجدداً، قالت:

ـ إذا كنت تظنين حقاً أنه يعرض عليك وظيفة حقيقية وستستمرين في البقاء تحت سقفه بعد ما أخبرتك به للتو، عندئذٍ، سيتضح لكل من يحبه أنكما تقيمان علاقة.

تصاعدت آهة من شفتي رايني.

لقد كشفت ديان خداع خطيبها. خوفها من ألا تغيّر الجراحة شيئاً

أبقاها مقيّدة في كرسيها المتحرك. كادت رايني تنتحب على كليهما لأن ذلك الخوف يبقيه سجيناً هو أيضاً.

بطريقة ما، احتاجت رايني لأن تقول شيئاً في خطوة منها لاستكمال الحقيقة.

بدأت تقول بهدوء: «أنا أعرف آماله في ما يتعلق بك. وهذا طبيعي عندما يحبك إلى هذه الدرجة لكنني أخشى أن الملامة تقع عليّ بالنسبة لعرض العمل».

ارتفع حاجب ديان بأسلوب متغطرس:

ـ لقد جعلك انجذابك إليه لعبة طيّعة بين يديه.

فردت رايني عليها بالسلاح نفسه: «أجل، أنا منجذبة إليه. إذا كنت تتكلمين عن الانجذاب الجسدي، فسأكون كاذبة إن لم أقرّ بذلك بما أنني قمت برسم ثماني لوحات له. هو جذاب بشكل لا يُصدَّق».

واختفت السخرية من ابتسامة ديان.

ـ وإذا كنت تتكلمين عن الانجذاب الفكري فأنا أقر بذلك أيضاً. لكن دعيني أخبرك لماذا.

شعرت رايني أنها مستعدة تماماً وقد يكون من المفيد إخراج بعض الأمور إلى العلن.

ـ أنت لا تعرفين الكثير عني ولكن أنّى لك ذلك؟ لقد نشأت في بلدة صغيرة. أخي يهوى العيش هناك، ومنذ صغره، أدرك أنه يود العيش هناك إلى الأبد وإدارة متجر للأدوات الرياضية. في الشتاء المقبل، سيحقق أخيراً حلمه. كنت مختلفة عنه وراودني حلم الانتقال إلى المدينة الكبيرة لرؤية ما تبدو عليه. كان المال الذي أتقاضاه من تدريس الرسم في المدرسة الرسمية وسيلة لإبقائي حيّة لكنّ أعمالي الحرّة هي التي أتاحت لي فرصة المجيء إلى هنا. بكل صراحة، جئت إلى نيويورك على أمل أن أجري تغييراً في حياتي. هل تعلمين عما أتكلّم؟

أزاحت ديان خصلة بعيداً عن رأسها.

ـ يتدفق أمثالك إلى نيويورك يومياً بحثاً عن الشيء نفسه. لكن أياً منهم لم ينته به الأمر في المحكمة مع خطيبي.

سرت رعشة في جسد رايني.

ـ هذا صحيح. عندما كان القاضي يوبخني عبرّ عن الأمر بشكل جيد. قال: اعتبريه مصيراً أو قدراً لكن صودف أنك رسمت الرجل الذي جعله نجاحه الكبير في الحياة ضحية العناصر الفاسدة في مجتمعنا.

«يبدو أن القدر أو المصير أو مهما يكن، أحضرني إلى هذا البيت. وفيما كان خطيبك في الطابق العلوي يبدل ملابسه قبل أن يقلني إلى منزل آل بويس للقائك، جلست في مكتبه، فحصل أمر مذهل. شاهدت خرائطه مبسوطة على الجدران. كانت شديدة الروعة لذا وقعت تحت تأثيرها. أتذكر أنّ الإحساس نفسه ساورني عندما كنت يافعة وعثرت على خريطة الأرض للمرة الأولى. لدى عودة السيد سترلينغ جاهزاً للمغادرة، وجدني أثرثر بحماس شديد وأنا أرجو أن يمنحني فرصة للعمل معه.

التمعت عينا ديان البنيتان من الدهشة فشعرت راييني أنها ممتنة لرد الفعل هذا إذ يعني أنها تستمع إليها على الأقل.

وتابعت تقول: «أجل، أنا مذنبة لأنني رغبت في التشبث بفرصة العمل مع شخص مثله لأن القدر لن يسمح بحصول ذلك مرة ثانية. لكن إذا كنت تتكلمين عن الانجذاب العاطفي فذلك أمر آخر لأنه قال كلمته وسألك أنت الزواج منه. لو أنك رأيت خطيبك في المحكمة لعلمت حينها أنه كان هناك لسبب واحد، وهو حمايتك. أراد التأكد من أنك لن تتعرضي للأذية مجدداً. كان خصماً مرعباً عندما ظنّ أني أتجسس عليكما. إثر انتهاء المحاكمة، خطر لي كم أنت محظوظة لأن خطيبك يظهر هذا النوع من الوفاء لك، فهو من النوع الذي يقوم بأي شيء لإسعادك. وهو مستعد للتضحية بحياته لرؤيتك تمشين مجدداً».

واختنق صوت راييني فيما أشاحت ديان بنظرها على نحو غير

متوقع.

ـ لقد اكتشفت قوة إخلاصه وتفانيه عندما سألني أن أقابلك لأطمئنك إلى أنني لا أمثّل أي تهديد لسلامتك. إنه بطل بكل ما للكلمة من معنى يا ديان. إنه بطلك أنت، من النوع الذي يمكنك القراءة عنه في تلك الروايات الرومنسية التي أرسم أغلفتها.

بقي أمامها أمر واحد تقوله فاستدارت هذه المرة نحو باين الذي كان يحدق إليها.

لقد طلب مساعدتها فاستجابت لطلبه وستلعب دورها في الصفقة مدة أطول، لكن عليها أن تضع حداً بينهما لأن حياتها وقف على ذلك.

ـ هل قلت لديان إنني سأبقى في نيويورك فقط حتى يرسل أخي في طلبي؟

ـ خالي باين؟

ـ في غرفة الطعام.

أجاب نداء ابنة أخته من دون أن يرد على سؤال راييني.

ـ أحضرت معي ليندا فهي تريد لقاء راييني.

ـ أهلاً ليندا. تعالي وتناولي الفطور معنا.

ـ شكراً سيد سترلينغ.

وبعد ثوان، دخلت المراهقتان إلى الغرفة. كانت ليندا فتاة مديدة القامة، جميلة الملامح، شعرها كستنائي يصل إلى وسط ظهرها.

مشت باتجاه ديان: «مرحباً آنسة ويسلي! كيف حالك؟»

ـ أنا بخير، شكراً لك.

لكن ديان لم تبدُ بخير مطلقاً، فقد كان صوتها يرتجف كلياً.

ـ لا بدّ أنك متحمسة للزفاف.

تمتمت قائلة: «نعم».

قالت كاثرين: «راييني! أريدك أن تقابلي صديقتي الحميمة ليندا مايلز. ليندا! هذه راييني ببنيت».

اقتربت المراهقة منها.

ـ أهلاً بك ليندا. يا له من شعر جميل!

تبادلت المراهقتان الابتسام، فيما قالت ليندا:

ـ شكراً. لقد رأيت الصور التي رسمتها لكاثرين وهي جميلة جداً.

ـ ما تحاول قوله هو، هل تظنين أن باستطاعتك رسم واحدة لليندا ذات يوم؟

ـ لا أتوقع منك رسمها مجاناً، هذا إذا كان لديك الوقت لذلك.

ـ سأجد الوقت لكنني لن آخذ منك مالاً.

طمأنتها رايني فيما نهض مضيفهم ليسكب لنفسه فنجاناً من القهوة قائلاً:

ـ لم لا تتناولان بعض الطعام أيتها الفتاتين؟

ـ شكراً فنحن نتضور جوعاً. قبل أن أنسى، أين وضعت رواية «عملية دمج في مانهاتن» خالي باين؟

ـ إنها في مكتبي. في درج المكتب إلى اليسار.

ـ هل أستطيع إحضارها الآن لئلا أنسى.

ـ تفضلي.

سألت ديان ليندا بعد أن غادرت كاثرين قاعة الطعام: «هل تحبين الروايات الرومنسية ليندا؟»

بعد حديثهما، شعرت رايني بالإعجاب لتماسك المرأة الأخرى. لقد قال باين إن خطيبته منافس قوي، وهي كذلك بالفعل.

قالت ليندا: «نعم فهي ممتعة فعلاً».

ـ ماذا تعنين بالممتعة؟

انتقت صديقة كاثرين ما ترغب من طعام وجلست وهي تقول:

ـ من الممتع أن نرى كيف يلتقي شخصان مختلفان كلياً والمشاكل التي يتخطيانها.

ـ لقد تطرقت مجلتنا إلى هذا الموضوع في مقال مفصل منذ بعض

الوقت ولن يضرك قراءته. تلك القصص لا تظهر إلاّ الأمور المثيرة في العلاقة ولا تعالج أبداً مسألة الديمومة.

ـ إن الأبطال والبطلات في الروايات التي قرأتها يتزوجون آنسة ويلي. أما في الواقع فالعديد من الشبان والشابات يعيشون معاً في البداية لكن الإحصاءات أظهرت أن العديد منهم ينفصلون لاحقاً أو يقتل أحدهم الآخر.

ـ وهل توافق والدتك على قراءتك لهذه القصص؟

ـ إنها لا تمانع. فقد تعبت أمي من العنف المعروض على شاشة التلفزيون.

ـ لا تقولي إن لا أثر لذلك في تلك الكتب.

ـ في البعض منا ربما. لكن ما أحبه هو أن البطلين يكونان شخصين مغرمين ببعضهما ومخلصين. وما من عنف فيها. تقول جدتي إن على كل رجل أن يقرأ قصة واحدة على الأقل ليعرف كيف يعامل المرأة بشكل أفضل.

ارتشفت رايني ما تبقى من العصير لئلا تبتسم. بدت ديان غير مصدّقة: «وهل تقرأها جدتك»؟

ـ أجل. عندما خضعت لجراحة السنة الماضية زارتني وقرأت لي واحدة وهكذا بدأت بقراءتها.

ضحك مضيفهم: «أنت لن تربحي أبداً هذه القضية، ديان».

ـ دعيني أرى هذه الرواية، كاثرين.

قالت هذا عندما عادت قريبة باين إلى غرفة الطعام، فناولتها كاثرين الرواية قبل أن تسرع إلى المائدة.

ـ من يود الإبحار بعد تناول الطعام؟

ردت الفتاتان في الوقت نفسه وقد اغتبطتا لاقتراح باين: «نحن!»

ـ وماذا عنك ديان؟ البحر هادىء اليوم.

ـ أعتقد أنني سأرافقكم.

فصاحت كاثرين: «رائع».

أبعدت كرسيها المتحرك عن الطاولة وتوجهت إلى الرواق وهي تقول:

ـ أمهلوني بضع دقائق لأجهز.

ـ بات عددنا ثلاثة من أربعة. رايني؟ هل تروق لك الفكرة؟

لم يكن في مقدورها تصوّر أي أمر أكثر إثارة من الإبحار في المحيط معه في ظروف أخرى. لكن ليس الآن ولا أبداً.

وفيما كانت ديان لا تزال قادرة على سماعها، قالت: «إذا كنا سنعمل معاً لاحقاً، فيجدر بي إنهاء مشروع بطاقات المعايدة خلال غيابكم. الموعد النهائي لتسليم العمل دنا».

استدارت كاثرين نحوها والاهتمام يعلو وجهها: «علام تعملين؟»

ـ أعمل على بطاقة سفر تظهر قطة سيامية مع عقد من الماس حول عنقها وقفازين أحمرين يصلان إلى أعلى ذراعيها. صوّرتها على أحد سطوح القرميد وقد مدّت جسدها بأناقة باريسية وراحت تلوح بذنبها مودعة هراً.

صرخت كاثرين: «آه كم هذا ظريف!»

ـ إنه يحمل عصا وثمة كيس صغير معلّق في آخره وقد عقد عليه وشاح.

أطبقت رايني عينيها وهزت رأسها ثم أضافت: «إنهما متحابان».

انفجرت الفتاتان بالضحك وشاركهما باين.

بدت ليندا متحمسة بقدر كاثرين وهي تقول: «هل يمكننا رؤيتها؟»

ـ بالطبع. عندما تعودان من الرحلة البحرية، تعالا إلى غرفتي. تمتعوا كلكم بوقتكم.

امتنّت لوجود الفتاتين الذي وفّر لها عازلاً أبعدها عن باين، وغادرت غرفة الطعام من دون أن تنظر إليه.

أملت ألاّ يبدو الأمر كما لو أنها تجري للابتعاد عنه.

عملت بجد لثلاث ساعات متتالية لكن جسمها تأوه أكثر من مرة ترقباً للحظة التي عليها أن توافي فيها باين إلى مكتبه.

لقد مرت بأوقات سيئة مع خطيبته فلقد اتهمتهما بإقامة علاقة.

امتلأت عينا رايني بالدموع. لقد حاولت المسكينة احتمال ألمها والسيطرة على غضبها بطريقة مشرّفة. كانت تجربة مروّعة وقد رفضت رايني إخضاع ديان لهذه المعاناة مجدداً.

من الآن فصاعداً، سيكون على باين أن يتعامل مع خطيبته بنفسه فيما ستبقى رايني في الخلفية حتى يتسنى لها العمل على خرائطه قبل أن ترحل إلى كولورادو.

وسمعت وقع خطى في البهو. لقد عاد باين والفتاتان. دعتهما رايني للدخول وأرتهما رسومها. وقبل أن تغادرا إلى منزل كاثرين، طلبت رايني من ليندا أن توافيها صباح الثلاثاء بعد أن يغادر باين إلى باريس وقبل أن تبدأ العمل. سترسم ليندا وكلبها على الشاطىء.

نزل الثلاثة إلى الأسفل ورأتهم رايني يخرجون. عند عودتها إلى المنزل، أخبرتها بيتي أن باين خرج يوصل خطيبته إلى منزلها وسيعود في الواحدة لمباشرة العمل.

نظرت رايني إلى ساعة يدها. أمامها ساعة واحدة.

حان الوقت للاتصال بالمنزل وإخبار أهلها بما يجري.

غداً، ستبتاع هاتفاً خلوياً. وعندئذٍ، تستطيع أن تتصل بأصدقائها لتعطيهم رقم هاتفها من دون إعلامهم بعنوانها الجديد. ولأسباب أمنية وشخصية في الوقت نفسه، لن يعرف أحد أنها تعيش بشكل مؤقت في كريغ هيد.

* * *

٩ ـ كن سعيداً . . . أرجوك!

ـ هل استمتعت فعلاً بوقتك خارجاً أم أنك كنت تضعين قناعاً أمام الفتاتين؟

لن تصل سيارة الليموزين إلى ممتلكات آل ويلي قبل وقت طويل لذا صوّبت ديان نظرة ثاقبة إلى باين وهي تقول: «ولِمَ تتكبد عناء سؤالي فيما تعلم أنني كرهت ذلك».

فرك باين جبينه: «إذاً، لما ذهبت للإبحار وعرّضت نفسك للأمرّين؟»

ـ لإسعادك . . . لقضاء بعض الوقت معك.

ـ أدرك أننا لم نحظ بوقت لنا مؤخراً لكنني وعدت فيليس برعاية كاثرين خلال سفرها. ستعود مساء غد وما إن أعود من باريس حتى أتفرّغ لك. سننهي الاستعدادات للزفاف.

ـ ما رأيك لو رافقتك إلى باريس؟

أقل ما يمكن قوله هو أن باين فوجيء بسؤالها. فخطيبته لم تشأ الذهاب إلى أي مكان منذ وقوع الحادث، حتى خشيت عائلتاهما أن تصبح انطوائية. ثمة سبب واحد لهذا التغيير الجذري، وهو شخص بعث كلامه اليوم موجات من القشعريرة في جسده كله. استوضح منها: «هل تودين الذهاب معي لإرضائي أم لإرضاء نفسك ديان؟»

أجابت بصدق: «للاثنين معاً».

ـ إذن، لا أريد المزيد.

كان يعني ذلك. إذا كانت هذه بداية التحول، فهو مغتبط. والفضل في ذلك لرايني. وطبع قبلة على جبين ديان، فأسندت رأسها على كتفه وقالت: «أعلم أنك مشغول لكن هل تظن أن بإمكانك التفرّغ قليلاً للتسوّق معي؟ لست سعيدة بثوب الزفاف الذي انتقيته وبما إننا لم نتصور بعد، قد أجد ما أحبه أكثر هناك».

ـ سنقوم بذلك. هل تودين أن يرافقك أحد حين أكون مشغولاً؟

ـ لا. أريد أن أرى كيف أتدبر أمري بمفردي.

اعتصر يدها: «أحسنت».

كان حماسه شديداً. لكن، عليه أن يكون حذراً فهي لم تذكر رايني، وما تبقيه في أعماقها سيخرج تدريجياً. إلاّ أنه لن يتطرق إلى الموضوع الآن لا سيّما وأنهما يطآن أرضاً جديدة.

كان الأمر بمثابة حفر نفق تحت الأرض، وهو عمل محفوف بالمخاطر إذ لا يمكن للمرء أن يعرف متى ستنهار الأرض عليه لتدفنه تحتها.

عندما بلغا منزل آل ويلي، ساعدها على الدخول إلى المنزل قائلاً: «سأكون غداً في المكتب وسأتصل بك لنخطط لرحلتنا. هل تودين مشاهدة مسرحية؟ يمكنني الاتصال وحجز تذكرتين».

ـ لا أعلم. لما لا نقرر ما سنفعله حين نصل إلى هناك.

ـ كما تشائين.

رحلة العودة إلى كريغ هيد استغرقت وقتاً طويلاً، إلى حد أنّ حماسه برد بعض الشيء لدى وصوله إلى المنزل.

اليوم، ثارت حفيظة ديان فرغبتها في السفر إلى أي مكان معجزة لكن باريس ليست سويسرا. أتراها تتلاعب به لتجعله يدفع ثمن توريط رايني في حياتهما الخاصة؟

هل يمكن أن تدّعي ديان بأنها ستمضي قدماً، ثم تتوقف عند الوصول إلى المسألة الأهم؟

لم يشأ باين أن يفكّر بالأسوأ مع أن الاحتمالات كلها واردة.

ـ أعتقد أن لا حاجة لسؤالك عما آلت إليه الأمور بينك وبين ديان.

إنها رايني!

أدار رأسه إلى اليمين فوجدها واقفة أمام إحدى خرائطه. كلما رآها، شعر وكأنها المرة الأولى التي يراها فيها، فيشتعل شيء ما داخله وتتسارع نبضات قلبه. إنه رد فعل لا إرادي ولم يكن في وسعه القيام بشيء حياله.

ـ خطيبتك شديدة الذكاء وستنتبه لمخططك باين.

ـ مع ذلك سترافقني إلى باريس يوم الثلاثاء.

صرخت وقد لاحت ابتسامة على شفتيها: «حقاً؟ إذن لما لا تبدو سعيداً؟»

فرك مؤخر عنقه قائلاً: «لا أعلم. ثمة شيء ما لا يسير على ما يرام. لقد قرأت مقالات عن أطفال يقفون فجأة ويبدأون بالمشي لكنها حالة نادرة. وهذا ما فعلته ديان فمن الانطوائية إلى سائحة عابرة للبحار، وكل ذلك في غضون صباح واحد».

توجهت نحوه: «لقد جرحتها بتوظيفي. أفترض أنه من المحتمل أن تلعب لعبة ما معك. لكن حتى لو صح ذلك فخطتك أثارتها إلى حد أنها قامت برد فعل. عليك أن تغتبط».

لقد اغتبط مدة عشر دقائق تقريباً وهذا ما سمح لنفسه به.

ـ وماذا لو كانت مجرد حالة مؤقتة؟

ـ عندئذٍ، ستبذل محاولة أخرى فهذه هي طبيعة باين سترلينغ.

ـ رايني!

خرج اسمها من بين شفتيه على شكل تأوّه. وتملّكته رغبة قوية جداً في احتضانها فأرغم نفسه على إبقاء مسافة بينهما.

ـ هل تود أن تعرف ما هي نظريتي؟

استمرت في الكلام متجاهلة الرجفة القوية التي هزت أوصاله.

ـ ما الأمر؟

سألها وقد أدار ظهره لها في محاولة منه للحفاظ على تماسكه.

ـ لقد أثّر فيها الحديث عن الروايات الرومنسية.

ـ لم يسبق لديان أن قرأت واحدة.

ـ بل فعلت. لعلها لم تقرأ إحدى روايات دار الوردة الحمراء، لكن شهادتها في الأدب تضمن أنها قرأت الروايات الكلاسيكية. ما أود قوله هو أنها غرقت منذ الحادث في حال من الاكتئاب ولم تسمح لنفسها بالهروب من حقيقة وضعها. لكن جلسة المحكمة أرغمتها على الاستماع إلى كاثرين وليندا وحتى نايلا وهن يتكلمن عن القصص المفضلة لديهن. أعتقد أن حديثهن ذكّرها بما كانت عليه علاقتكما قبل أن تصاب... عندما كانت تشعر أنها امرأة متكاملة وتدرك أنها تعني كل شيء بالنسبة إليك.

يا إلهي!

ـ أتذكر ما قالته ليندا؟ من الممتع أن نرى كيف يتفاهم شخصان مختلفان ويتجاوزان المشاكل التي تعترضهما. لعل ديان ليست جاهزة بعد لإجراء جراحة لكنها قررت مرافقتك إلى باريس لتبرهن أنها تحاول التغلب على مخاوفها وأن تكون تلك المرأة الحيوية التي أغرمت بها.

كاد قلبه يتوقف فقال: «أنت مخطئة رايني».

ساد صمت قصير وخانها صوتها: «كما قلت، إنها مجرد نظرية».

لقد جرحها، وهذا آخر ما يريده. استدار باين وقد أدرك أن أنفاسه باتت متقطعة.

ـ أين تذهبين؟

توقفت في منتصف طريقها وأدارت رأسها وقالت:

ـ من الواضح أنك مستاء. جل ما فعلته هو جعل الأمور أسوأ.

ـ أنت محقة. أنا مستاء لكنك لست السبب. هلاّ بقيت. أحتاج إلى التحدّث إليك».

بدا الحنان في عينيها الخضراوين فيما كانت تتأمله: «أخبرني عن ديان. كيف التقيتما؟ ومتى؟ وددت معرفة الرد عن أسئلة كثيرة منذ جلسة الاستماع ولكن الأمر لم يكن من شأني».

أخذ باين نفساً حاداً: «لقد نشأت ديان في لونغ أيلند مثلي. لطالما كان والدانا أصدقاء فنحن من المحيط الاجتماعي نفسه وارتدنا الحفلات نفسها على مدى سنوات».

ارتجف صوتها: «هذا يفسّر الكثير. أنت وديان كنتما...»

قاطعها بقوله: «لم نكن حبيبين منذ الطفولة».

لم يستطع باين الاستمرار في الكذب وقتاً أطول.

- لست مغرماً بديان، ولم أكن يوماً مغرماً بها. وهي تظن أنها تحبني.

جعلتها الصدمة عاجزة عن الكلام. وكان هذا جيداً فلديه المزيد ليقوله: «في السنوات العشر الأخيرة، كنت منشغلاً ببناء شركتي، ويمكنني ربما أن أحصي المرات القليلة التي رأيت فيها ديان. وفي عطلة الميلاد الأخيرة، دعت عائلتها عائلتي لتناول الغداء فدعاهما والدي على العشاء. كان الأمر قد غدا تقليداً لهم. ونسيت أنا الموضوع برمته لأنني توقفت عن المشاركة منذ أن رحلت إلى الجامعة. عشية إطلاق الرصاص على ديان، كنت أعمل في مكتبي عندما تلقيت اتصالاً هاتفياً من والدتي، قالت إن ديان ويلي في طريقها إلى مكتبي. يبدو أنها كانت تتسوّق ولم تنتبه لمرور الوقت. فهل يمكنني إحضارها إلى المنزل لحضور الحفل عندما أعود إلى البيت؟ لم أكن أعلم حتى أن والدتي تقيم حفلة. وكان هذا آخر ما أرغب في القيام به لكني لم أرَ سبيلاً للتهرب من ذلك، لذا وافقت».

بدت رايني مصدومة من الطريقة التي كانت تتمسك بها بظهر أحدى الكراسي.

لكنه أكمل حديثه: «خلال رحلة العودة إلى كريغ هيد، تبادلنا

أطراف الحديث كما يتكلم المعارف القدامى. كانت عائدة لتوها من سان فرانسيسكو حيث أجرت مقابلة لوظيفة محرر في مجلة ولكنها قررت عدم القبول بها. وعند هذا الحد، هبطت الطائرة. كان مايك يعاني من زكام حاد وبدا شاحباً كالأموات. فطلبت منه أن يخلد إلى النوم فتجادل معي لكنني ذكّرته أننا ضمن ممتلكات العائلة، ما يعني أننا في أمان...».

وكلما استفاض باين في الشرح، لاحظ أن وجه رايني يفقد لونه.

- ... قررت قيادة سيارتي بنفسي وتوجهنا فوراً إلى منزل عائلتي الذي يبعد مسافة قصيرة. ساعدت ديان على الترجل من السيارة وكنا قد بلغنا سلالم المنزل عندما ناداني أحدهم، فاستدرت ووجدت امرأة غريبة تقف قرب الأشجار شاهرة مسدساً. لقد تعرّضت للملاحقة ست مرات على الأقل منذ أيام الدراسة ولكن أي من أولئك النساء لم تكن تحمل مسدساً. كانت لحظة لا واقعية رايني حيث تعلمين أن هذا الأمر يحدث لك لكن دماغك يعمل ببطء. دفعت ديان بعيداً وتوجهت نحو المرأة. لكن الرصاصة انطلقت في ثانية قبل أن أرميها أرضاً. تناهى إليّ صوت ديان وهي تصرخ بأنها أصيبت. وفجأة، اندفع الناس جميعاً إلى الخارج بمن فيهم العائلة، والأصدقاء، ورجال الأمن، والشرطة. تلك الرصاصة غيرت عالمها وعالمي.

تأوهت رايني كما لو أنها هي المجروحة: «آه باين».

- لم تشأ ديان أن يلمسها أحد عداي. وقد عانيت لجعلها تسمح لرجال الإسعاف بتولي الأمر إذ كانت في حالة صدمة. تعلقت بي كطفلة خائفة تتوسلني أن أركب في سيارة الإسعاف معها. ظننت أنها ترغب في أن يرافقها ذووها لكنني فعلت ما طلبته مني لأنني كنت مصدوماً أنا أيضاً وخائفاً عليها.

- بالطبع. يا لها من لحظة مرعبة للجميع!

ـ ما انفكت تقول إنها تخشى أن تموت. وفجأة، اعترفت لي بأنها طالما أحبتني وتمنت الزواج بي.

أحنت رايني رأسها.

ـ وأقرت ديان بأنها ذهبت إلى المدينة لرؤيتي وقد استغلت أمي عبر الاتصال بها والادعاء بأنها تحتاج لمن يقلّها إلى المنزل وسألتها إن كان باستطاعتها تدبر أمر رحلتها معي.

وتابع بصوت عالٍ: «لقد نجحت حيلتها وبلغت هدفها لكن الأمر انتهى بها إلى دفع ثمن يجب ألاّ يدفعه أحد».

ـ لا.

ـ تلك الرصاصة كانت تستهدفني رايني فلو أنني لم أصرف مايك ذاك المساء لتعامل مع الوضع بسرعة وفعالية. لهذا السبب أنا أدفع له. لقد صرفته في تلك الليلة دون سواها.

ـ توقف عن تعذيب نفسك!

ـ لا أعلم كيف أفعل. قد تعتقدين أنه كان عليّ أن أتعلم من التجارب الأخرى التي تعرضت لها في حياتي أنني سأظل دائماً هدفاً وأنني لا يمكنني أبداً التخلي عن حرّاسي. لم يقل الرب طوبى للأغنياء والمشهورين لأنه يعلم أن الثراء والشهرة يكلفان صاحبهما ثمناً باهظاً.

ـ باين...

ـ هذا صحيح. أنا سبب عجز ديان عن السير. الشهران الأولان كانا أشبه بالجحيم بالنسبة لها ولي وفي كل يوم كنت أوزع أوقاتي بين مكتبي وغرفتها في المستشفى. وفي كل مرة أدخلها، أدعو لكي أسمع أنها أحرزت تقدماً ملموساً. ذات مساء وبينما كان طبيبها يقوم بجولته، أخذني جانباً وأخبرني أنهم عاجزون عن القيام بشيء لها لكنه اقترح أن تذهب إلى عيادة متخصصة في زوريخ بما أنها لا تزال تشعر بساقيها. كانت تلك الأنباء التي انتظرتها. وعندما سألت الطبيب عما إذا أطلع ديان على ذلك، رد بالإيجاب. لكنها كانت تقاوم الفكرة ولم أستطع تفهّم

ذلك. تجادلنا أنا وديان بشأن ذلك حتى بكت وغفت. وعندما عدت إلى المنزل فكرت كثيراً محاولاً إيجاد طريقة تحملها على تغيير رأيها والذهاب.

فهمست رايني:

ـ لذا عرضت عليها الزواج.

والتقت أعينهما في لحظة طويلة خالية من المرح فأجاب: «نعم. ظننت أن عرضي هو المعجزة المطلوبة. أخبرتها أنني سأتفرّغ شهراً لها ويمكننا المزج ما بين إقامتها في المستشفى وشهر العسل. ومنذ خطوبتنا، وافقت على الفكرة ثم رفضتها مئات المرات وكنا نتشاجر بهذا الشأن يومياً حتى اليوم الذي هرعت فيه كاثرين وديان إلى مكتب صهري لعرض غلاف رواية: «عملية دمج في مانهاتن» عليّ.

صرخت رايني بيأس: «كانت غلطتي. ما كان عليّ المخاطرة برسم وجهك أو وجه أي شخص آخر غيابياً».

ـ ومن يعذب نفسه الآن؟

فهمست: «أصبت. باين... لدي فكرة».

ـ جيد! لأنها نفدت مني.

ـ بعد دقائق، سأحزم أمتعتي وأرحل.

رايني، رايني!

ـ ألا تظنين أني عرفت أنك ستقولين ذلك حتى قبل أن تفعلي؟

ـ اسمعني أرجوك!

بدت جدية ونبيلة، فعقد ذراعيه ليمنع نفسه من الإمساك بها وعدم السماح لها بالذهاب.

ـ كلّي آذان صاغية.

تراجعت مبتعدة عنه كظبية مذعورة في الغابة تتحسس الخطر وقالت: «عندما أغادر، اذهب إلى ديان وفاجئها. أخبرها أنها محقة وأنك وظفتني لجعلها تغضب وقد أدركنا كلانا أن اللعبة فشلت فشلاً ذريعاً. دعها تعلم أنني عدت إلى كولورادو، إلى حيث سأذهب فعلاً حين أرحل

من هنا. عندئذٍ، أطلب منها أن تسافر معك غداً إلى باريس بدلاً من الثلاثاء وأخبرها أن ما من شيء يهمك أكثر من سعادتها وأنك لن تذكر سويسرا أبداً. أعتقد بصراحة أنك لو قمت بذلك فستجد القوة للذهاب إلى تلك العيادة. لقد رأيت الدليل على كبرياء الآنسة ويلي، ما يعني أنها لا ترغب في قرارة نفسها بحمل اسمك والبقاء تحت حمايتك لأنها انتهت في كرسي متحرك ولأنك تشعر بالذنب حيال ذلك. إنها تريد حُبَّك كأي امرأة أخرى، وهي تعلم أن السبيل الوحيد أمامها لتربح هذا الحب هو القتال من أجله بعد أن تفعل ما في وسعها لتقف على قدميها أولاً. لهذا أنا مقتنعة بأنها ستقوم في النهاية بما يصب في مصلحتها وفي مصلحتك. والآن، سأرحل من هنا لأن في هذا مصلحتي».

وقبل أن تخرج من المكتب أضافت:

ـ هلا قلت لطيارك إنني سأكون جاهزة للإقلاع بعد عشر دقائق؟

وسمح لها باين بالرحيل. كان عليه ذلك فهو ملتزم تجاه ديان ورايني تحترم الالتزام. إنها امرأة شريفة وهي في الواقع تتمتع بالعديد من الميزات الرائعة التي لم يشأ أن يبدأ بتعدادها فعندها لن يتوقف أبداً.

وفي أقل من عشر دقائق، عادت مجدداً إلى الأسفل مع أمتعتها. خرجا من المنزل معاً من دون أي كلمة وعندما وضع أمتعتها في الطائرة استدار ليساعدها على الصعود. كانت ابتسامتها المشعة ستخدع أياً كان عدا باين.

ـ ليس عليك أن تقلقي أبداً بشأن العثور على طريق حياتك رايني بينيت فهذا يسكن أعماقك ويؤثر في كل من يلتقيك.

ـ إنه أجمل مديح تلقيته. واعلم أني عنيت ما قلته لديان فأنت بطل بكل ما للكلمة من معنى. في المرة القادمة عندما أقرأ رواية رومنسية، سأفكر فيك لكنني أعدك بأن أتماسك لئلا أرسمك.

ودارت المحركات. لقد حان موعد الرحيل! فهمست له: «كن سعيداً».

أغلق الباب وابتعد عن المروحية التي تصاعد ضجيج محركاتها وغطى على التأوه الصادر من أعماق روحه.

وعندما غابت عن النظر، أسرع إلى الشاطىء. جلس هناك نصف ساعة متأملاً، ثم عاد إلى البيت ليستحم ويوضب حقيبته. وجد مديرة منزله في المطبخ فقال: «بيتي؟ حصل تغيير في مشاريعي. قررت رايني العودة إلى ديارها في كولورادو وأنا سأرحل الآن ولن أعود من باريس حتى السبت المقبل. اتصلي بي في حال استجدت أي مشكلة».

اتصل بآندي ليحضر سيارة الليموزين فيما انضم إليه بعد قليل جون ومايك وتوجهوا إلى منزل شقيقته. أراد توديع ابنة أخته شخصياً لكنه التقى نايلا في البهو وأخبرته أن كاثرين ذهبت إلى منزل جديها لتناول العشاء معهما.

ـ هل تودّ ترك رسالة لها؟

ـ لا. سأتصل بها. وبما أنني هنا، هلاّ أحضرت لي لوحات رايني.

ـ طبعاً. دقيقة واحدة.

وفيما كان باين ينتظرها، اتصل بكاثرين.

ـ مرحباً خالي باين!

ـ مرحباً حبيبتي. أنا سعيد لتمكني من محادثتك.

ـ وأنا أيضاً. أعتقد أنني تركت الرواية في منزلك لكنني عندما اتصلت ببيتي قالت إنها لم ترها. هل لديك فكرة أين يمكن أن تكون؟

عبس قائلاً: «أذكر أن ديان طلبت منك إعطاءها إياها. ربما لا تزال بحوزتها. إذا كان الأمر صحيحاً، فسأتأكد من إيصالها إليك بنفسي».

ـ شكراً... وكيف تجري الأمور؟

ابتلع ريقه بصعوبة: «أفضل من المتوقع».

ـ أحقاً؟

ـ نعم. ستسافر ديان معي إلى باريس في الصباح.
ـ وهل ستذهب حقاً في الطائرة معك؟
ـ هذا صحيح.
ـ ربما هذا يعني...
فقاطعها: «إنه تقدم مهما عنى. لهذا، قررت رايني ألاّ تعمل لحسابي وقد غادرت عائدة إلى كولورادو منذ نحو ساعتين».
أعقب ذلك صمت طويل، ثم قالت كاثرين: «كانت سترسم صورة لليندا يوم الثلاثاء».
لم يكن باين يعلم بالأمر: «أخبري ليندا أن رايني كانت سترسم صورتها لو أنها قادرة».
ردت بصوت هادىء: «سأفعل. خالي باين! هل أنت بخير؟»
ـ لا يمكنني أن أكون بحال أفضل. إذا تمكنت ديان من اتخاذ هذه الخطوة، فمن يعلم إلى أين يمكن أن تقودنا؟
ـ سأصلي لأجلك. أحبك. شكراً لعنايتك بي.
ـ وأنا أحبك كثيراً. هل تودين شيئاً من باريس؟
ـ أريدك أن تكون سعيداً.
لقد قال له شخص يحبه كثيراً الكلام نفسه منذ ساعتين.
ـ حسناً عزيزتي، بلغي حبي للجميع وأخبري أمك وأباك أنني سأعود لرؤيتهما في عطلة الأسبوع القادمة.
ـ سأفعل.
قالت نايلا فيما كان يعيد هاتفه إلى جيبه: «تفضل!»
أخذ باين اللوحات منها وقال: «شكراً. شقيقتي محظوظة بالحصول عليك».
عانقها قبل أن يغادر المنزل مع كنزه الثمين. عندما يصل إلى المكتب، سيترك ملاحظة لسكرتيرته لترسلها بالبريد إلى رايني.
كانت اللوحات من إبداعها وهي صاحبة الحق الوحيد فيها. ولو

قررت التخلص منها فهو لا يريد أن يعلم بذلك.
ـ آندي! خذني إلى منزل آل ويلبس.
تعمّد باين اتباع نصيحة رايني حرفياً. فلقد فقد الإيمان بحدسه الخاص لكنه كان مؤمناً بحدسها. إنها تتحلى بحدس قوي ولعلها تعلم ما يجهله.
وبعد يومين، وبعد أن حضر مؤتمراً برفقة عدد من المهندسين عاد إلى شقته قرب ساحة ڤاندوم في باريس. لقد تمكّن من إعطاء الرجال ما يكفي من العمل ليسبقوا الجدول الزمني المقرّر وذلك بفضل الوقت الذي صرفته رايني معه في العمل على خريطة باريس.
ـ ديان! لقد عدت وأنا مستعد للخروج لشراء فستان الزفاف.
ـ أفضّل البقاء لنتمكن من الكلام.
عبس باين فلقد ارتفعت معنوياتها منذ الأحد الماضي عندما فاجأها وهو لم يسبق له أن رآها بهذا الحال منذ الحادث. شعر أنه لن يحتمل إذا ما أعلمته أنها تريد العودة، فهذا سيعني أنها ستعود إلى الانطواء على ذاتها وستغرق مجدداً في حالٍ من اليأس الجامد.
وضع حقيبته أرضاً: «لا تبدين بخير».
عندما دخل غرفة نومها، وجدها جالسة في كرسيها المتحرك وهي ترتدي بزة زهرية جديدة.
ـ أعجبني زيك. تبدين شديدة الجاذبية.
ـ أعتقد أنك تعني ما تقول. شكراً لك.
ـ لم أكذب عليك أبداً بشأن مظهرك.
وأضاف وهو يجلس على إحدى الكراسي المجاورة لها: «لقد كنت مراهقة جذابة وقد تحوّلت إلى امرأة جميلة».
نظرت إليه مباشرة: «أعلم أنك لم تكذب علي أبداً. أخشى أنني أتقدم عليك في هذا المجال».
صدمه تعليقها لكنها أكملت: «عندما أبلغتك برغبتي في مرافقتك

إلى باريس، كنت أراوغ لأنني رغبت في إظهار اهتمام كاذب بعملك. لقد أخبرت نفسي العديد من الأكاذيب ولكن كل شيء انتهى».

ـ ما الأمر ديان؟

ـ هذا.

ورفعت بيدها رواية «عملية دمج في مانهاتن».

فوجىء باين فقال: «كانت كاثرين تبحث عنها. لقد سألتني عما إذا رأيتها».

ـ وضعتها في حقيبة يدي حين كانت لا تنظر لأنني رغبت في قراءتها.

مذهل!!

ـ وهل تمكّنت من إنهائها؟

وتدفقت الدموع من عينيها: «لا تسخر من الأمر، باين».

تناول يدها، وقال:

ـ أنا لا أفعل. كل ما في الأمر هو أني أعلم أنك تفضلين نوعاً آخر من الكتب.

ـ صحيح لكن فضولي كان كبيراً. القليل الذي عرفته عن الرواية أرغمني على رؤية نفسي على حقيقتها. كانت تجربة مروعة.

ثم همست: «هل يمكنك أن تسامحني؟»

عجز باين عن الاستيعاب: «لماذا؟»

ـ لقبولي عرض الزواج الذي تقدّمت به. لقد وضعتك في موقف صعب. كنت أنتظر عودتك لأفعل هذا، منذ إنهائي الصفحة الأخيرة من هذا الكتاب.

نزعت الخاتم الماسي من إصبعها ووضعته في راحته: «لقد سرقت ستة أشهر من حياتك. وما زاد الأمر سوءاً أنك رجل طيب جداً وكنت مستعداً للتضحية بما تبقى من حياتك من أجل امرأة لم تحبها يوماً ولن تستطيع أبداً أن تحبها، ليس بالطريقة التي أرغب فيها. فيما كنت أطالع

هذه الرواية، اختلطت عليّ الأمور بين القصة وحياتها يا باين، حياتك وحياتي وحياة رايني».

وأحنى رأسه فأكملت: «تلك النظرة في عينيك عندما قدّمتها إليّ.. وعندما باحت بحبها لك أمامي... تمكنت من رؤيتكما في القصة فأنتما تتوقان إلى بعضكما لكنكما تنكران ذلك لأن لوغان توسند مرتبط، وهو رجل شريف. الفارق الوحيد بين تلك القصة وبيننا أنني عدت إلى وعيي. هل يمكنك تحريري من الالتزام الذي لم يكن عليّ أن أوافق عليه. أعلم لما قمت بذلك، وأنا أتحمل الخطأ لأنني كذبت على نفسي وأقنعتها بأن كل الأمور ستنجح في النهاية».

ـ ديان!

ـ قبل أن تقول شيئاً، يجب أن تعلم أنني اتصلت بأهلي وأخبرتهم أن الزفاف ألغي. لم أستغرب لدى سماع أمي تقول إنها مرتاحة وإنهما سيطيران غداً إلى باريس لاصطحابي إلى تلك العيادة في زوريخ. هذا الكتاب جعلني أدرك أنني أريد رجلاً يقع في حبي، كما أحببت أنت رايني وكما أحب لوغان الطبيبة التي أنقذت حياته. لو لم أحاول إرغامك على الإحساس بشيء لا وجود له تجاهي لما أصبت. كان هوسي بك مرضياً وخاطئاً. في النهاية، كلفنا ذلك حزناً غير ضروري ومن المذل أن أقرّ بذلك لكنك تستحق أن تعلم أنني أعترف بما قمت به. لقد عرفت رايني البطل عندما رأته في تلك الصورة الجماعية. قالت إن القاضي أسمى ذلك قدراً وأنا أعلم أنه القدر. ماذا لو لم ترسمك باين؟ لقد أطلقت سلسلة من الأحداث حررتنا أنا وأنت، لنعيش الحياة التي يُفترض بنا أن نحياها. أخبرها أنني مسرورة لما فعلته.

للمرة الأولى منذ الحادث، أحاطها باين بذراعه لأنه رغب في ذلك وقال:

ـ أعلم أنك ستمشين ثانية ديان.

ـ علي أن أؤمن بذلك من دون أي شيء آخر.

عانقته بقوة ثم أبعدته عنها وابتسمت: «لَمْ تقف هنا؟ اجمع أمتعتك. سأطردك من شقتك الخاصة لأنني أدرك أن ثمة امرأة في كولورادو تهيم في حبك. اذهب إليها بسرعة. وأرجوك، أرجوك، كن سعيداً!

* * *

١٠ ـ حيث قرّر القدر

ـ رايني؟

ـ نعم؟

سمعت سحاب الخيمة التي تتسع لشخصين ينفتح وجاءها صوت أخيها: «هل أنت نائمة؟»

تمتمت فيما كان كريغ يحبو إلى الداخل: «ليس الآن».

ـ كاذبة. لقد سمعتك تبكين.

فناحت قائلة: «إذن أعتقد أن الجميع سمعوا أيضاً».

ـ لا تقلقي بهذا الشأن.

أقفل السحاب ثم جلس على الأرض المظلمة قربها. بدأ الطقس يبرد بسرعة بعد أن غابت الشمس، وعند الصباح سيصبح داخل الخيمة بارداً بما أن النوافذ الصغيرة تُرِكَتْ مفتوحة.

ـ ما زال الناس يتدفقون، والذين وصلوا متحمسون لرحلة الغد فلم يخلدوا إلى النوم بعد. كما أني تقصّدت وضع خيمتك بعيداً عن الآخرين لأمنحك بعض الخصوصية. هل أنت مستعدة للتكلم عن رجل الملايين؟

ـ أرجوك لا تناده هكذا.

مازحها بقوله: «إنها عبارة تحبُّب».

ـ إنه أي شيء عدا هذا النوع من الأشخاص.

ـ أخبريني عنه.

- إنه في باريس الآن مع خطيبته. سيتزوجان في الأول من آب.

لـ... لقد أقرّ أنه لا يحبها.

وفجأة، أفضت بكل شيء... أخرجت ما في نفسها وكأنه فيضان من الكلمات... كل شيء...

أطلق كريغ صفيراً خافتاً ووضع يده على ذراعها: «هذا قاس».

مسحت الدمع عن وجنتيها وهي تقول: «بعد الجلسة، قلتَ لي إني ذات يوم سأنظر إلى ما حصل على أنها مغامرة كبيرة وأسخر منها. هذه النصيحة هي الشيء الوحيد الذي أبقاني متماسكة».

- لكنها لم تنفع في تخفيف آلامك حالياً. على أيّ حال، يسرّني أن أسمع أنني كنت مفيداً في أمر ما.

- أنت تجيد العديد من الأمور. لما تظن أنني هنا؟ لكني أخشى أن تتأسف على انضمامي إليك في رحلتك النهرية الأخيرة.

- هل تمزحين؟ أنا متشوّق لما ستبتكرينه من أفكار جديدة للمتجر. اسمعي، أستطيع سماع صوت الطوّافة التي تحضر الآن الفوج الأخير من السيّاح، وإذا كنت لا تزالين مستيقظة بعد أن يستقروا، فستتحدث.

- لا تقلق! لا أعتقد أنني سأغفو ثانية.

- بل ستفعلين. بعد قضاء يوم في النهر غداً، ستنامين كطفل صغير.

- آمل أن تكون محقاً.

- وهل تعتقدين أني قد أكذب عليك؟

- لم يسبق لك أن فعلت.

- ها أنت قلتها. هل تريدين مني إضاءة مصباحك؟

- لا بأس. لدي مصباح طوارىء إذا ما احتجت إلى شيء.

- حسناً.

عندما غادر الخيمة، تمددت مجدداً. في هذه المساحة المحمية من نهر الكانيون، كان صوت محركات الهلكوبتر يتناهى إليها أعلى من المألوف. لا يمكنها سماع هدير مروحية من دون التفكير بباين. تذكرت

المشهد وهو يصغر فيما كان طياره يبتعد بها عن كريغ هيد وقد غمرها يأس كبير.

دفنت وجهها في الوسادة متنهدة فالتشنجات التي هزت جسدها كانت أسوأ من السابق.

لم تكن روحها تجد المواساة. وفيما كانت متمددة، سمعت المروحية تُقلع إلى لاس فيغاس. لن يطول الأمر قبل أن يعود أخاها.

كانت سعيدة لذلك لأنها أدركت أنها تحتاج إلى مساعدة لقضاء الليل.

وأخيراً، سمعته يفتح سحاب خيمتها مجدداً.

نادته بصورة آلية فيما كان يدخُل: «كريغ؟»

- لا، أنا باين.

- هذا ليس مضحكاً يا كريغ.

وجاءها صوت رجولي عميق ومألوف: «أنت محقة».

اقتنعت بأنها تهذي فأمسكت مصباح الطوارىء وأشعلته. عندما رأت باين جاثماً على الارض قربها بجاذبيته وحيويته الشديدتين بكت.

- عزيزتي!

لم يسعها تصديق ما يحصل.

- سأوضح لك كل شيء لاحقاً. كل ما عليك معرفته هو أنني حر. لقد منحتنا ديان بركتها. والآن تعالي ودعيني أضمك وأشعر بك.

انتفض قلبها بقوة بين أضلعها فيما كان يفتح كيس النوم ليأخذها بين ذراعيه.

- رايني.

قال اسمها بأنفاس متقطعة ثم عانقها متمتماً: «كنت أحيا بانتظار هذا».

فاعترفت له: «وأنا كنت أتوق إلى ذلك».

عندئذٍ ضاعا في عناق أظهر مدى شوقهما إلى بعضهما البعض.

تعلّقت رايني به. الآن، حصلت على الرجل الحقيقي لتكتشف ما كانت تتمناه من قلبها.

همست بشغف: «أحبك. أحبك إلى حد مؤلم ولا أعتقد أن هذا الألم سيزول».

داعب مؤخرة عنقها وهو يعانقها ثم ضمها إليه بقوة أكبر.

ـ أنا هائم بك. لا أدري ما إذا كان هناك كلمات قادرة على وصف شعوري.

ـ تلك هي الكلمات التي كنت أتحرّق لسماعها. ولا أحتاج إلى أي شيء آخر.

سمعته يأخذ نفساً حاداً وهو يقول: «تزوجيني رايني. لا أستطيع العيش من دونك».

ـ وأنا لن أدعك تفعل ذلك.

كانا يتأملان ملامح بعضهما البعض بجوع فأثرت له:

ـ لقد أخطأت بالمجيء إلى هنا الليلة فمن شدة شوقي إليك قد لا تخرج حياً أبداً.

ـ رائحتك زكية رايني. رائحتك طيبة. أحب النظر إليك. كل ما فيك هو معجزة!

ثم أبعدها عنه قليلاً فتعلّقت به وقالت: «حالياً، لا يمكنني تبين لون عينيك وجل ما يمكنني قوله إنهما قاتمتان. في هذه اللحظة تشبه أمير أحلامي».

ابتسامته المشعّة أدهشتها إذ لم تره على هذا الشكل من قبل فانحبست أنفاسها وذبلت ابتسامتها.

ـ ما الأمر حبي؟

ـ لا شيء. إنه فقط أمر تذكرته عندما أنهيت رسم لوحة «عملية دمج في مانهاتن».

ـ وما هو؟

ـ كنت تجسيداً لأحلامي التي بُعثت في لوحة. كان شعرك بنياً قاتماً، أما عيناك الزرقاوان فبدتا وكأنهما تربان أموراً لا يمكن لأيّ شخص تخيّلها، وملامحك الصلبة كشفت عن حياة من العمل الشاق، والتضحيات والانتصارات. أنت شخص تجرؤ على اكتشاف حدود جديدة لكنك بدوت كرجل لم يغيّره حب امرأة... عندما ابتسمت لي كما فعلت الآن، أدركت أن هذا ما كان ينقصك. كان ينقصك عندما كنت مع ديان لكنني رفضت الإقرار بذلك. لو رسمتك الآن لبدوت مختلفاً.

ارتجف صوته وهو يقول: «أشعر أنني مختلف. لقد غيّرتني حتى لم أعد أعرف نفسي».

أحنى رأسه وتعانقا مجدداً بشغف لا يمكن السيطرة عليه.

صرخ: «رايني... لا أريد القيام بجولة في النهر غداً».

ـ ولا أنا.

ـ أريد لقاء عائلتك في أسرع وقت ممكن.

ـ سنذهب إلى المنزل في الصباح، وسأعرفك بهما فوالدتي تكن لك إعجاباً شديداً وسيغتبط والدي حين يعرف أنّ حب حياتي الكبير سيكون لي مدى الحياة.

عانقها بابن مجدداً: «سيعتقد أن القصة تمادت بعيداً جداً وسريعاً جداً».

ـ وهكذا سيفعل ذووك. لكن لا أحد يعلم بتاريخنا باستثنائنا.

ـ بعد المأساة التي وقعت لديان في غضون ثوان، لا أريد إضاعة المزيد من الوقت الذي أتاحه لنا القدر فالحياة ثمينة جداً.

ـ آمين!

قرّبها إليه بحركة متملكة أفرحتها كثيراً.

ـ لم يسبق لك أن ارتبطت برجل من قبل، أليس كذلك؟

ـ لا. كنت أنتظر الرجل المناسب.

ـ آه رايني!

وجذبها إليه مجدداً قائلاً: «لا أعرف كيف يمكنني أن أنتظر وقتاً أطول لأجعلك لي. يجب أن نتزوج فوراً بغض النظر عن مشاعر ديان وعائلتها، أود أن يتم ذلك بسرعة وتكتم».

ـ وأنا أيضاً. لطالما أردت أن أتزوج في كنيسة العائلة. التوقيت مناسب وسينتهي كريغ من عمله بعد غد.

ـ هذا سيمنح عائلتي الوقت الكافي للحضور فكاثرين ستطير فرحاً بالخبر.

ـ إنها تحبك حباً جماً باين، ولكن من لا يحبك؟

الانفعال أثر على حنجرتها، وهي تضيف: «باين؟ أخبرني عن ديان».

سمعته يتنهد بعمق قبل أن يجيب: «هل تصدقين أنها أخذت الرواية معها؟ عندما رجعت إلى الشقة عصر الثلاثاء، كانت قد قرأتها وجلست تنتظرني».

والتمعت دموع ساخنة عند زاويتي عينيها:

ـ آه حبيبي! خشيت أن تنهار عندما تكتشف ما يعتمل في داخلها فقد تصاب بالأذى نتيجة لذلك.

ـ الأذى ليس الكلمة المناسبة فلقد كانت ترتعش بسبب شعورها بالذنب.

وجلست رايني متعجبة فيما كان يخبرها كيف أعطته ديان حريته وسألته المغفرة.

ـ سأصلي حتى تتمكن من معاودة السير.

ـ سنصلي معاً.

ـ أدين بحياتي لديان. لقد تركتك ترحل لكي نتمكن من أن نكون معاً.

انفجرت رايني بالبكاء فضمها بحزم إلى صدره وأوضح لها:

ـ لقد قالت الشيء نفسه عنك فلوحاتك أضفت شيئاً من القوة على العمل فأثارت فيها الرغبة مجدداً والوقوع في الحب.

ـ يوماً ما، سأتصل ببوني ريغلي وأخبرها كل شيء. ستفرح كثيراً عندما تعلم أن إحدى قصصها تركت أثراً في حياة ديان.

ـ لقد غيرت حياتنا جميعاً رايني. لن أقلل من قدرة الروايات الرومنسية مجدداً، فمن يعلم؟ وعندما تصبحين السيدة سترلينغ قد تغدو شقيقتي فيليس المعجبة التالية بهذه القصص.

رمقته رايني بنظرة وابتسمت ابتسامة غامضة: «إذا حصل ذلك، فهل يمكنني إخبار غرايس كارلو؟»

ـ ولمَ يعتبر ذلك غاية في الأهمية؟

ـ هل تذكر السؤال الذي طرحته في نهاية الجلسة، إذ سألتك كيف اكتشفت أن صورتك على غلاف الرواية؟

ـ أتذكر التفاصيل كلها ففي ذاك اليوم، دخلت رايني بينيت حياتي. دنت منه أكثر وهي غير مصدقة أن رجل أحلامها يحتضنها بين ذراعيه.

ـ إثر انتهاء المحاكمة، أخبرتنا غرايس أن السيد فينوير سيغتبط حين يكتشف أن ابنة السيناتور سترلينغ بويس وخادمتها تقرآن منشورات الوردة الحمراء.

ضحك باين: «يمكنك إطلاع المحامية كارلو على ما تشائين».

ـ يجدر بي النهوض لأُخبر كريغ أننا لن نذهب معه في الصباح.

ـ إنه يعلم ذلك.

ـ كيف؟

ـ أجريت معه حديثاً قصيراً قبل أن أدخل خيمتك. وقد رحّب بي في العائلة.

ـ أنا سعيدة بحيث أكاد أنفجر.

ـ لا تفعلي، فلدينا مخططات في الصباح إذ سيحضر الطيّار ليقلّنا في

الثامنة وعندما نبلغ لاس فيغاس، سنستقل الطائرة إلى منزلك وأنا أتشوّق لمقابلة خصمي.

عبست قائلة: «ماذا تعني؟ ما من رجل آخر في حياتي».

- بلى. فاستناداً لأقوال أمك، أنت وهو لا تفترقان منذ عودتك من نيويورك وهو ينام في سريرك.

صاحت فرحة: «ونستون؟»

فضحك: «ومن غيره؟ إذا كان سيعيش معنا في كريغ هيد، فلا بد من توطيد علاقتي به الآن. وإذا تمكنا من جعله يتقبلني فستسير أمورنا جيداً».

- يتقبلك!

ولفّت راييني ذراعيها حوله: «سيحبك ولن يكون قادراً على الخلاص بعد الآن كحالي تماماً. لقد نطقت ديان بالحقيقة فأنا لعبة طيّعة بين يديك».

- يا لك من لعبة جميلة!

أثارها قربه وعندما حاول إبعادها قليلاً عنه، لم تكن مستعدة للتخلي عنه.

تسارعت أنفاسه وهو يقول: «هيا بنا! أنا لا أثق بنفسي إذا بقيت مدة أطول هنا معك فدعينا نقوم بجولة قرب البحيرة، ونعدّ مخططاً فيما ننتظر شروق الشمس».

وخطر لراييني فكرة: «لقد أشرقت بالفعل عزيزي. الا تدرك أن الكون بأسره امتلأ نوراً ما إن وطأت قدماك خيمتي؟»

* * *

بحث وهو مغمض العينين عن عروسه التي تزوجها منذ أربع وعشرين ساعة فهو يحتاج إليها كما يحتاج إلى الهواء. وبدلاً من جسدها الدافىء قربه، وجد شرشفاً بارداً، والوسائد العابقة بشذاها. استيقظ

تماماً فاستوى في جلسته ليجد نفسه وحيداً في الغرفة المعتمة. لعلها في الصالون الرئيسي!

- راييني؟

لا جواب.

مع أن يخته راسٍ في الخليج إلاّ أنه لا يزال يتأرجح فالأمواج أعلى من العادة.

هبّ بابن واقفاً وارتدى مئزراً.

ناداها ثانية لكنه لم يتلق أي جواب، فأسرع نحو السلالم. وعندما بلغ سطح اليخت كان قلبه ينبض بسرعة هائلة.

كانت الأمواج المزبدة تحيط به لكنه لم يجد أيّ أثر لزوجته في مؤخرة السفينة فبدأ الخوف يعتريه، كما لو أن قنبلة انفجرت على سطح السفينة.

جرى إلى مقدّمة السفينة وهو يصيح باسمها. كان يصرخ ملء رئتيه.

- أنا هنا عزيزي.

كان ردها أعذب صوت سمعه في حياته. التقيا في منتصف الطريق وارتميا في حضن بعضهما البعض. سحقها على صدره.

كان يرتجف بقوة من الخوف لدرجة أنه عجز عن الوقوف: «يا إلهي، ظننت أنني فقدتك. لا تفعلي ذلك ثانية».

اهتز صوتها: «لن أفعل... أعدك. آسفة لأنني أرعبتك بابن، سامحني».

لم يستطع التوقف عن معانقتها متمتماً: «لو حصل لك مكروه...»

فاقتربت منه أكثر: «أقسم أنني لن أقوم بما قد يرعبك هكذا مجدداً».

ورفعت إليه عينيها الخضراوين المبللتين بالدموع: «بعد ليلة أمس، أدركت أنني أحبك أكثر من الحياة كلها»

ليلة أمس . . .

لم يسبق له أن عرف طعم الحياة حتى ليلة أمس. فقد جعله حبّها يشعر بأنه وُلد من جديد.

ـ أنت حياتي رايني. عندما بحثت عنك منذ دقائق ولم أجدك . . .

ـ لأنني أحبك كثيراً، رغبت في أن تنام جيداً. وفيما كنت أنتظر حتى تستفيق، أخذت دفتر رسومي. كانت الصور تدور في رأسي لكنني احتجت إلى مزيد من الإضاءة لذا صعدت إلى سطح اليخت. لقد بلغت الرياح أشدها منذ بضع دقائق فوضعت أغراضي جانباً وكنت أنوي حمل الغداء إليك إلى السرير. كنت أهم بالعودة عندما سمعت صوتك المرتعب. ظننت أن شيئاً رهيباً حدث لك ولم أستطع الإسراع أكثر في الوصول إليك.

شعر بالرعشة التي هزّت جسدها فضمها إليه أكثر:

ـ حصل أمر رهيب، فأنت لم تكوني قربي عندما رغبت بذلك.

ـ هذا ما شعرت به عندما حلقت بي الطائرة بعيداً عن كريغ هيد فأدركت أنني لن أرجع مجدداً.

وانهمرت الدموع على وجنتيها فهمس وهو يعانقها بجوع أكبر من السابق: «لقد بات ذلك من الماضي وأنت زوجتي الآن. أعجبتني فكرة الغداء، لكن في المرة التالية عندما تشعرين بحافز للرسم، أخبريني أولاً فلن يتحمل قلبي هذا النوع من العقاب مرة ثانية».

وهمس مضيفاً: «هيا. لنبتعد عن هذه الرياح ونأخذ حماماً دافئاً».

اصطبغت وجنتاها باللون الأحمر: «إذا قمنا بذلك أولاً، فستتضور جوعاً في وقت لاحق».

أخذ نفساً عميقاً: «جوعي إليك أشد».

رفعها بين ذراعيه مستجيباً لحاجة خرجت عن سيطرته وعاد بها إلى غرفة نومهما.

لم يخرجا إلى السطح حتى منتصف العصر حيث أعدا وجبة طعام

وحملاها إلى السرير. وبعد أن أكلا، استلقت زوجته الفاتنة قربه وشعرها الأشقر يلامس عنقه وكتفيه. لقد سمع تنهيدة رضى قبل أن يدرك أنها استسلمت لنوم عميق. ولا عجب في ذلك فبعد احتفالهما الذي تم في العاشرة صباحاً في كنيسة عائلة رايني والغداء الذي تلاه في منزل ذويها أعادت طائرة الشركة أسرته وحرّاسه إلى نيويورك.

عندئذٍ، استقل هو ورايني المروحية وتوجها رأساً إلى «كريغ هيد» لكي يصعدا على متن اليخت لتمضية شهر عسلهما.

وما إن أصبحا في المحيط حتى أرسى اليخت في الخليج ليتمكن من إيلاء عروسه الاهتمام ولتتمكن هي من رؤية مشهد منزلهما من المياه.

لم يناما حتى ساعة متأخرة.

لقد تزوج امرأة موهوبة، وكريمة وعاطفية. امرأة شغوفة بالحياة. إن زواجه برايني فتح أمامه مغامرة سترافقه حياة بأسرها.

كانت ترغب في إنجاب طفل منه ولطالما أراد ذلك هو أيضاً لكنه أخبرها أنه لا يريد منها أن تتسرّع.

لهذا، طلبت منه إغماض عينيه فيما ناولته دفتر رسومها، وعندما أذنت له بالنظر فتح عينيه. حمل الرسم اسم: «مهندسنا الصغير الأول» وقد رسمت فيه صبياً صغيراً ينتعل حذاءً عالي الساقين وقبعة ويجلس على كتفيّ والده باين. كان الشبه بين الأب وابنه ملفتاً وقد أثر ذلك فيه بطريقة غريبة لم يعهدها.

ولمعت عينا رايني الخضراوان وهي تقول: «رسمتها في الليلة الأولى التي عدت فيها إلى منزل أهلي. وبما أنني لم أستطع الوصول إليك، فعلت شيئاً آخر لأشعر أنني قريبة منك».

كان يدرك أن زوجته تتمتع ببعد نظر فعلم أن هذا الطفل سيخرج إلى الحياة في الوقت المناسب.

وضع الدفتر جانباً، وقال:

ـ من الآن وصاعداً، ما من «أشياء أخرى»، إذ أنوي أن أقرّبك مني

إلى درجة أنك ستصرخين طالبة الرحمة.

فأقرّت بهمس مرتعش:

ـ أخشى أن يصبح العكس هو الصحيح.

ـ إذاً، فنحن أسعد زوجين في العالم.

ـ ونحن كذلك.

خفت صوتها قبل أن يغرقا في لجة الحب طيلة ما تبقى من الأمسية.

عندما غفت، نهض باين وقد اعتراه الفضول لرؤية ما كانت ترسمه.

أخرج الرسم، وبعدما تأمل لوحة المهندس الصغير مرة أخرى قلبها ووجد نفسه وجهاً لوجه مع شخصه. كان الرسم مشابهاً للوحة على غلاف رواية «عملية دمج في مانهاتن» لكن المرأة بين ذراعي باين امرأة مختلفة، كما أن عينيه تعكسان نظرة مختلفة.

هذه المرة، كان يحتضن زوجته وهما يرتديان ملابس الزفاف. وتغيّرت الصورة على جدار مكتبه لتظهر كريغ هيد والمركب الشراعي.

كما وضعت صورة صغيرة أخرى على المكتب قرب صورة ونستون. إنه برونو. النظرة الجشعة والسعيدة على وجهيهما جعلت الدموع تتجمّع في عينيه.

لقد أرّخت اللوحة وعنونتها: «نظرة حب».

انقبضت حنجرته من الانفعال فجاءه صوت رايني من الوراء فيما أحاطته بذراعيها:

ـ أردت رسم ليلة زفافنا لتبقى الذكرى إلى الأبد.

ثم ضغطت وجنتها على ظهره مضيفة: «أحبك كثيراً لدرجة أنني لن أفعل يوماً ما قد يزيل هذه النظرة عن وجهك».

وضع الدفتر على طرف السرير واستدار بين ذراعيها ثم أمسك وجهها بين يديه.

ـ سنعلّقها في غرفتنا وستكون نجمتنا ودليلنا فيما نبحر في بحر الحياة معاً.

صاحت فيما امتلأت عيناها بالدموع: «نعم...»

أخفض باين رأسه ومسح الدموع المالحة راجياً ألاّ يخبّىء لهما القدر سوى دموع الفرح...

* * *

www.elkommune.com